# الماءِ - الضياءِ - الحياة

## حلقات مترابطة

د. بشير عبد الواحد يوسف

الكتاب: الماء - الضياء - الحياة
حلقات مترابطة
المؤلف: د. بشير عبد الواحد يوسف

رقم الإيداع: 2020/ 1014

الترقيم الدولي: 978-977-493-503-9

الطبعة الأولى القاهرة ٢٠٢١

الناشر
شمس للنشر والإعلام
٢٧ ش الثلاثين - برج الشانزليزيه - زهراء المعادي - القاهرة
ت فاكس : ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)
www.shams-group.net

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لا يسمح بطبع أو نسخ أو تصوير أو تسجيل
أي جزء من هَذَا الكتاب بأي وسيلة كانت
إلا بعد الحصول عَلَى موافقة كتابية من الناشر

شمس
للنشر والإعلام

# الماء - الضياء - الحياة

## حلقات مترابطة

د. بشير عبد الواحد يوسف

# إهداء

إلى أرواح أبي وأمي وأخي...

أتضرع إلى الحيِّ العظيم الله ربنا ورب الناس، أن يكون مثواهم في عالم الأنوار مع أهلهم الطيبين، ليحيوا حياة ثانية لا موت فيها ولا شيخوخة ولا أمراض...

آمين يا ربنا يا رب العالمين

# تقديم

الكنزبرا سلوان شاكر

ᓴᓐᔅᑲᓐᑲᓐ ᔅᓯᓇᐧᐃᓐ ᔅᑲᑲᓐ

بسم الحي العظيم

اطلعتُ بشكل دقيق على كتاب الماء- الضياء- الحياة، للدكتور بشير عبد الواحد يوسف، فكان كتابًا ممتعًا، صيغ بطريقة تحفِّز القارئ على تناول الصفحات دون ملل، فكان الكتاب يجمع بين الدين والعلم، الروح والمادة، بين الموجود والميثافيزيقيا.

إن كتاب الماء - الضياء - الحياة، وفِّق في أن تجعله هناك مقتربات بين النصوص الدينية التي تشرح أهمية الماء والضياء والحياة في عملية الخليقة، وما توصل له العلم من نظريات وقوانين في ذلك المضمار.

إن الخلفية الثقافية التي يتمتع بها الدكتور بشير، تجعل مُمسكًا بشكل محترف لخيوط موضوع معقد، كموضوع الخلق وفلسفة الحياة والماء وانبثاق النور والضياء، مما يعطيه الحرفية في أن يحيك تلك الخيوط للوصول لفهم سلس ومخارج آمنة لتلك المواضيع. فهو موسوعة في مجالات شتى كالهندسة، والإدارة، والثقافة الدينية، والأدب... فكانت تجربته مثالية بإشرافه على ترجمة كتابنا المقدس كنزا ربا، وكتاباته في مواضيع عديدة، مما حدا بتلك الكتابات لتكون كُتبًا يُعتدُّ بها كمصادر يُرجع إليها.

هيي ربي يوفقه لخدمة البشرية ورفد المكتبة العالمية بما يفيد الإنسانية.

ماري مزهرلخ- الرب يحفظك

الكنزبرا سلوان شاكر

# مقدمة المؤلف

الماءُ الحيُّ خُلِق أصلاً في عالم الأنوار، فبعد عالم الأنوار خُلِقت الحياة، ومن الحياة جاء الماء الحيُّ الجاري، ومنه جاء البهاء، ومن البهاء جاء النور.

فالماء حلقة الوصل بين عالم النور والعالم الأرضي، ويكون الماء سِرًّا للروح عند صعودها إلى عالم النور.

إن اختلاط الماء السماوي بالماء الأرضي عزَّز العلاقة بين عالم النور وعالمنا الأرضي، مما أدَّى إلى نشوء الحياة بوجود الضياء في هذا العالم.

وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1]، كما جاء في كتاب الكنزا ربا أن الحياة تكوَّنت من الماء والنور وبقدرة ملك النور السامي الله ربِّ الناس جميعًا... قال كُنْ فيكون... بأمره كل شيء كان.

كذلك ورد في الإنجيل أن الماء ليس فقط مادة فيزيائية مجردة، بل هو مفهوم نادر وعظيم، وهذا المفهوم يرتبط بطريقة أو بأخرى بفكرة الحياة.

إذن جميع الأديان تقرُّ بقُدسية الماء والضياء لأنه لا توجد حياة بدونهما، وأن الماء الحيَّ ذو قدرة غير اعتيادية، ويعتبر عِلة جميع الأشياء، وهو الوحيد الذي يكون على ثلاث حالات: سائلة وصلبة وغازية (بخار)، وأنه يملك ذاكرة وله قدرة على خزن صفات المواد بمجرد ملامسته لها... والظاهر أن الماء يرى ويحس، وهذا يعني أنه عبارة عن حاسوب عظيم.

ولهذا نؤكِّد أن الماء، الضياء، الحياة... حلقات مترابطة.

المؤلف

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣٠

# الحلقة الأولى

## الماء الحيّ

الماء الحيُّ خُلِق أصلاً في عالم الأنوار، فبعد أن كان عالم النور؛ كانت الحياة، ومن الحياة جاء الماء الحيُّ، ومن الماء الحيّ جاء البهاء، ومن البهاء جاء النور، ومن النور جاء الملائكة الأثريون.

ويذكر كتاب الكنزا ربا أن الحياة تكوَّنت من الماء والنور، وبقدرة ملك النور السامي (الله)... فبأمرٍ من الحيِّ العظيم حلَّ الثمر العظيم داخل الثمر العظيم، ومنه كان أثير الضياء العظيم، ومنه تكوَّنت الحرارة الحيَّة، ومن الحرارة الحيَّة صار النور... وبقدرة ملك النور السامي صارت الحياة، وصار الثمر العظيم داخل الثمر العظيم، وصار فيه يردنا، وإذ صار يردنا صار الماء الحي؛ الماء المتألق البهيج... ومن الماء المتألق البهيج نحن الحياة صرنا، ثم صار الملائكة الأثريون، وبعد أن صرنا أيتها الحياة صار الظلام، بعده صار العوز والنقصان.

الأرض كان يغطيها الماء الآسن، وعندما صُبَّ الماء السماوي فيه تحوَّل إلى ماء عذب لغرض نشر البهاء وتهيئة المناخ لنشوء الحياة والشفاء والتعميد وتهيئة العون للأرواح.

إن اختلاط الماء السماوي بالماء الأرضي عزَّز العلاقة بين عالم النور والعالم الأرضي، مما أدَّى إلى نشوء الحياة في هذا العالم.

كافة الشعائر والطقوس المندائية تجري بوجود الماء الحي، لأن الماء هو حلقة الوصل بين عالم النور وعالمنا الأرضي، وهو الوسيلة لعروج الروح بعد الوفاة إلى عالم النور، أو أثناء مرحلة التعميد والغطس في الماء لتبدأ حياة جديدة للمتعمد.

* * *

# الحلقة الثانية

# نشوء الماء

لنستعرض معلومات علمية جميلة ممزوجة بأفكار روحانية... ولنبدأ بفكرة موجزة عن الماء الحيُّ الجاري:

الماء مادة نراها ونلمسها، أمَّا الروحانيات فلا نراها ولا نلمسها.

وقد أجرى عدد من العلماء تجارب عملية على الماء الجاري والماء الراكد، وتوصلوا إلى نتائج مذهلة نختصرها بالتالي:

١. نشأ الماء أصلاً في عالم النور ومن الماء جاء البهاء، ومن البهاء جاء النور، ومن النور جاء الملائكة الأثريون، ومن الماء والنور جاءت الحياة. الحيُّ أول ما خلق، ومن مكانه انبثق، وفي اليردنى تدفق، منذ نشماثا كونت موجة من الماء الحيُّ نوديت.

٢. الماء الحيُّ ذو قدرة غير اعتيادية، وهو عِلة جميع الأشياء، وله تأثير كبير على البشر والحيوان والنبات وحتى الجماد، فإن أصلد المواد لا تخلو من نسبة من الماء، وهو أكثر الأشياء الشائعة والمستخدمة على الأرض، وفي داخلهِ أسرار لا يمكن سبر أغوارها، وكميته ثابتة منذ بدء الخليقة.

٣. رغم ليونة الماء وطواعيته ونعومته وانسيابيته؛ لكنه من أقوى الأقوياء، وله القدرة على إذابة أصلب المواد، وخواصه الكيماوية والفيزيائية غير عادية ويشذ عن كثير من السوائل، وهو الوحيد الذي يكون على ثلاث حالات: (سائلة، وصلدة وغازية)، وله قدرة على الخاصية الشعرية عكس الجاذبية، وهو مادة موصِّلة للصوت وللكهربائية.

٤. الماء يملك ذاكرة، وله قدرة على خزن الصفات بمجرد الملامسة، والماء يرى ويحس، فهو حاسوب عظيم، وهو بالغ التأثر بالموسيقى والحب

والعاطفة، وبالمشاعر الإنسانية الإيجابية يزداد قوة وطاقة، وتقل قوته وطاقته بالمشاعر الإنسانية السلبية مثل الخوف والرعب والكراهية والعدوانية.

٥. أجسامنا أربعة أخماس وزنها ماء، ونشرب يوميًا نحو لترين من الماء، ويدخل أجسامنا لتر ونصف عند السباحة.

٦. الماء يتأثر عندما يكون مجرى النهر كثير التعرجات، فكيف بالماء وهو يجري بمواسير طويلة متعرجة وملتوية وحادة تغيِّر مساره عدة مرات تؤثر على طاقته وحتى على تركيبته الحقيقية، خاصةً عندما يُنقَل تحت ضغط جوي عالي.

٧. الكائنات الحية وُجِدت أصلاً في الماء، ولاحقًا تطورت وعاشت خارج الماء. والماء هو الذي حقَّق غاية الخالق في انبعاث الحياة وتسلسل تطور كل الأنواع الحية التي تطورت من البكتريا البسيطة إلى الهيئات المثالية الحالية. ويمثل الماء التركيبة الحلزونية للحامض النووي ويصنع هيكل البروتينات... إذن في الماء تبدأ حياة أي بذرة وأي جنين، ولكن في الوقت نفسه هناك الماء الثقيل (أوكسيد الديتيريوم) لصناعة القنابل الهيدروجينية المدمِّرة للحياة.

٨. المندائيون على حق في تمسكهم بالماء الجاري لأن فيه حياة، ولو قارناه بماء نقي مُعقَّم مخزون في قنينة فترة من الزمن فهذا رغم نقائه يعتبر ماءً ميتًا لا حياة فيه. وعمومًا الماء الحيُّ محيطه قاعدي، بينما الماء الميت فيكون محيطه حامضي، ولهذا تنتعش الحيامن في المحيط القاعدي وتموت في المحيط الحامضي.

٩. إن أي عملية اشتعال تتطلب وجود كمية من الماء في هذه المواد المشتعلة، فلو أخذنا مقدارًا من الوقود مثلاً ورفعنا منه الماء لا يمكن اشتعال هذا الوقود، وهذا أحد أسرار الماء.

١٠. دماغ الإنسان وهذا المخ الجبَّار يتكون أساسا من الماء الذي تكون جزيئاته نماذج المعلومات الدماغية الهائلة.

١١. للماء الحيُّ قدرة هائلة على تنظيف نفسه بنفسهِ من جميع أنواع التلوث الكمياوي والمعلوماتي بواسطة الملوحة الموجودة في البحار والمحيطات وأثناء عملية التبخر الهائلة ونزول الأمطار، كذلك عند تجمده في المحيطات القطبية وذوبانه، فعند تحول الماء من حالة إلى حالة أخرى تُمسح المعلومات المخزَّنة ويعود لحالة الاستقرار التركيبي مع الاحتفاظ بالبرامج الأساسية للحياة.

١٢. إن فقدان ٢٪ من الماء يُشعِر الإنسان بالعطش، و١٠٪ يُصاب بالجفاف، ١٢٪ يموت الإنسان، علمًا أن كمية الماء في الجنين تصل إلى ٩٣٪ وتنخفض عند الموت إلى ٥٠٪.

١٣. أمَّا الأمور الروحانية مثل صلاة الاستسقاء، فهذا يعني أن الماء يحس ويسمع، كذلك حمل اليصابات، وشق البحر الأحمر بعصا موسى، وغيرها الكثير من الروحانيات التي يسميها العلماء ميثولوجيا (علم الأساطير).

وعمومًا للماء قدرات هائلة فهذه الظواهر الطبيعية التي يحسها الماء قبل حدوثها مثل كسوف الشمس وخسوف القمر وتكوّن عين الإعصار وما يتبعها من أعاصير مدمِّرة مثل تسونامي وترما وغيرها، والأعاصير التي يعيشها العالم الآن تتطلب التبحر في معرفة أسرار الماء.

النور: بقدرة ملك النور السامي المنتشرة أنواره ملء الأكوان صار يردنا الماء الحي البهيج الذي بدأت منه الحياة وقوَّمت نفسها في عالم الأنوار فكان الملائكة الأثريون اللذين لا عد لهم ولا حدود، يحيون في أثير الضياء العظيم، الذي كوَّن الحرارة الحية، ومنها كان النور.

* * *

# الحلقة الثالثة

# الأرض

وللتعرف على إمكانية نشوء حياة تحاكي حياة أرضنا في تلك الكواكب الصخرية المكتشفة فأننا يجب قبل كل شيء أن نبحث في العوامل المتوفرة في أرضنا والتي ساعدتها على نشوء واستمرارية الحياة فيها. ويأتي في مقدمة تلك العوامل هو امتلاك كوكبنا لمواصفات وخصائص فيزيائية وكيميائية معينة، ومنها مثلاً وجود غلاف غازي يحيط بأرضنا يدرأ عنها مخاطر الأشعة الكونية المؤينة، بالإضافة إلى أن كثافته نشأ عنها الضغط الجوي وتأثيراته المناخية والحيوية، وكذلك تمتلك أرضنا درجات حرارة معينة في كثير من مناطقها تُبقي الماء سائلاً في جميع فصول السنة. ولِمَ لهذه السيولة من أهمية في استمرار الحياة، وغير ذلك من الخصائص الفيزيائية كالجاذبية الأرضية مثلاً.

بالإضافة إلى ذلك فإن كتلة الحديد والنيكل (المنصهر والصلب) اللذين تتشكل منهما نواة الأرض؛ أدَّت إلى نشوء حقل مغناطيسي كبير وعالٍ يحيط أيضًا بالأرض إحاطة تامة يحميها ويحافظ عليها من الأشعة المؤينة.

أمَّا العوامل الكيميائية للأرض فيأتي في أولها قابلية العناصر الكيميائية الأرضية على التفاعل مع بعضها البعض عن طريق فقدان أو اكتساب الإلكترونات، مما يؤدي إلى تكوين مركبات جديدة تقوم بإمداد الحياة بمادة جديدة للنمو والبناء، وكذلك بإمدادها بالطاقة. فالحياة على الأرض محورها الأساس هو الكربون الذي في خط سيره يمد الحياة بالمادة والطاقة معًا حيث أن لهذا العنصر من الخصائص التي قد لا تتوفر لغيره، ومنها قدرته على الاتحاد مع الهيدروجين عن طريق الأواصر الكيميائية أو التساهمية لتكوين مركبات ذات وزن جزيئي مرتفع باتحادهما مع الأوكسجين والنيتروجين وعناصر أخرى

لتصبح هذه المركبات قادرة على تجهيز الطاقة والمادة معًا حيث هما عماد الحياة في الأرض، إضافة إلى امتلاك الكربون لخصائص أخرى أهمها أن يتحول عند أكسدته إلى غاز يسهل التخلص منه.

إن الهيدروكوربونات الناتجة من اتحادهما ومنها (الكانات) والتي تجمعت سلاسل منها مكونة الامفيفالات (مواد محبِّة للزيت والماء) ونتيجة لتصادم الموجات البحرية أدَّى إلى انتظام تلك الامفيفالات بشكل حويصلات كانت الأساس في نشوء الحياة.

بالإضافة إلى كل ما تقدَّم فإن أرضنا على بُعد مناسب من الشمس التي هي مصدر الطاقة، بالإضافة إلى أن الخصائص الفيزيائية لشمسنا من العوامل المهمة في نشوء الحياة على كوكبنا، فإذا أردنا التعرف على وجود حياة في كوكب آخر فيجب على المختصين الأخذ في الاعتبار كل العوامل التي ذُكِرت وغيرها، فأرضنا احتاجت ما يقارب نصف مليار من السنوات وبمواصفات فيزيائية وكيميائية خاصة حتى تنشأ عليها البدايات الأولى لحياة بدائية.

ومن الضروري هنا الإشارة إلى أنه لولا ظهور الأوكسجين كغاز مستقل كوَّن مع غازات أخرى الهواء الجوي، حيث ظهر على سطح الأرض عقب تكونها بحوالي مليارين من السنين، ويرجع سبب تكونه إلى أنه ناتج عرضي نشأ من عملية البناء الضوئي التي كانت تقوم بها البكتريا من نوع سيانو بكتريا، حيث بقيت لمدة تقارب ٥٠٠ مليون سنة بتحريره إلى الهواء الجوي فأصبح بنسبته المعروفة.

لقد قاد وجود الأوكسجين في الهواء الجوي إلى تطور عملية تحرير الطاقة الكاملة من الغذاء، مما سهَّل تعقيد الحياة العضوية وبداية تطورها إلى الكائنات الأكثر تعقيدًا، فلولا الأوكسجين واستعماله في التنفس لما ظهرت الحشرات والأسماك وباقي الفقريات.

* * *

# الحلقة الرابعة

# الحياة

يمكننا مناقشة نشوء الحياة دينيًا، بخلق آدم وحواء من الصلصال، ثم ولوج النفس (وهناك من يسمِّيها الروح) بأمرٍ من الله الحي العظيم خالق كل شيء، وهذا ما تتفق عليه كل الأديان التوحيدية مثل المندائية واليهودية والمسيحية والاسلامية، وهو ما يتطلب الإيمان بهذه الأديان والذي مركزه القلب. أمَّا إذا ناقشنا نشأة الحياة علميًا وفق اعتبارات العقل؛ فهناك العديد من النظريات التي يتطلب نقاشها مجلدات لصعوبة الإلمام بها، فالعلم يتطور في كل لحظة...

لفت انتباهي اكتشاف جديد على السواحل اليابانية في أعماق البحار في الأرض الطينية، ربما يكون له صلة بنشأة الحياة الأولى؛ فقد عُثِر على ميكروب في كتلة من الطين من أعماق البحار في السواحل اليابانية، يمثل هذا الميكروب نقلة نوعية من تطور الحياة من الخلايا البسيطة إلى أشكال الحياة المعقدة التي نراها على وجه البسيطة من فطريات ونباتات وحيوانات؛ بما في ذلك البشر. وقد أجرى العلماء دراسات معملية على هذا الميكروب؛ ليتضح لهم أن الزوائد توقع في شراكها أي بكتريا عابرة وتبتلعها، لتتحول في النهاية إلى عضيات تمثِّل هيكلاً داخليًا يشكِّل مركز الطاقة للخلية ويعتبر حيويًا للتنفس وإنتاج الطاقة... هذا مختصر مفيد عن اكتشاف هذا الميكروب الحي وإمكانية تطوره... وتبقى المشكلة: لماذا لا يحيا هذا الميكروب في الطين في السواحل الضحلة حيث يوجد الضياء الضروري للحياة؟

ولكي نطلع على معلومات أوسع حول بداية نشأة الحياة على الأرض بعد توفر ظروف الحياة من ماء وضياء وأمور أخرى مكملة، لنتابع كيف نشأت الحياة وتطورت من وجهة نظر علمية: ولهذا يرى العلماء أن الأرض كانت قطعة من

نار انفصلت عن الشمس، ثم أخذت تبرد، وأول ما يبرد منها قشرتها الخارجية؛ بشرتها؛ لإشعاع الحرارة منها. وبديهي أن أول ما يبرد من الأرض بعد ذلك هما القطبان، والقطب الجنوبي منفصل من سائر اليابسة بالبحار، فمن المعقول أنه إذا كانت الحياة الراهنة قد نشأت على الأرض ولم تأتِ إليها من كوكب آخر فإن مكان نشوئها هو القطب الشمالي؛ وذلك لأنه متصل بسائر اليابسة في العالم؛ فالأحياء تجد فيه متسعًا ومنه طريقًا إلى سائر اليابسة. وليس معنى هذا أنها لم تنشأ في القطب الجنوبي مطلقًا؛ إذن المرجَّح أنها نشأت في القطبين معًا، ولكنها توقفت عن التطور في القطب الجنوبي؛ لإحاطة المياه به وطغيانها عليه... أمَّا في القطب الشمالي، فإن المجال كان يسمح بنشوء الحياة وتطورها؛ لاتصاله باليابسة.

ثم أخذت الأحياء تنتشر رويدًا في الجنوب كلما خفَّتْ حرارة سطح الأرض وأخذت البرودة النسبية للأحياء بالتكاثر.

والمرجَّح أن الحياة الأولى ظهرت في السواحل، حيث يختلط الماء بالطين، وحيث يصل ضياء أشعة الشمس إلى أعماق الماء. وإلى الآن لا نعرف ماهية الحياة الأولى، فربما كانت أبسط من "الخلية"، ومما يجعل هذا البحث من أصعب الأبحاث أن طبقات الأرض لا تسعفنا بشواهده كما تسعفنا بشواهد أخرى عن الحيوانات والنباتات المنقرضة وتوضح لنا طرق تطورها، والسبب في ذلك أن الخلية الأولى كانت من الصِّغر ولين المادة الهلامية، بحيث إذا ماتت لم يبقَ لها أثر يشهد على وجودها.

ومما يرجَّح، في النشأة الأولى للحياة، أن النبات سبق الحيوان؛ وذلك لأن النبات يستطيع أن يتغذى من العناصر الجامدة، بخلاف الحيوان فهو إمَّا أن يتغذى بنبات أو بحيوان مثله. ويمكننا بذلك أن نقول: إن الحي الأول كان نباتًا، وأنه نشأ في ضحاضح السواحل. والسبب في أنه نشأ في الضحاضح دون الغمر العميق من البحار أن البحار لم تكن مالحة في الزمن القديم كما هي الآن، فملوحة البحار تكوَّنت من انصباب أنهار العالم واكتساحها أملاح اليابسة

إليها، وبسبب عوامل التبخر الواسعة من سطح المحيطات... والنبات يحتاج إلى الأملاح كي يحيا، وهو يجد هذه الأملاح في طين السواحل، ثم أن النبات يحتاج إلى ضوء الشمس كي يحيا أيضًا، وهو إذا نشأ في قعر المحيط العميق منعت المياه عنه هذا الضياء.

ودليل آخر على أن الأحياء الأولى عاشت دهرًا طويلاً في مياه البحار؛ أن عناصر مياه البحار لا تزال موجودة في جميع أجسام الأحياء؛ نباتًا كانت أو حيوانًا، وأهم هذه العناصر هو "اليودين"، وثانيها هو ملح الطعام، وكلاهما ضروري لكل حي، وفي ملوحة دمائنا نحن البشر ما يشهد بملوحة البحر التي عاشت فيها الخلية الأولى ثم أسلافنا من الحيوان.

ولا يمكن إلى الآن أن نعرف كيف دبَّت الحياة في الخلية الأولى، وقد مضى زمن كان يحسب فيه الناس أن هناك تشابهًا عظيمًا بين تكوُّن المبلورات؛ كالبرد والثلج والألماس، وبين تكوُّن الحياة، ولكن الفرق عظيم بين الاثنين، فالتبلور يحدث بالإضافة الخارجية، أما الحي فينمو بالتمثيل الداخلي؛ أي إنه يحتوي على مادة جامدة أو حية ثم يهضمها ويجعلها مثله. فدبيب الحياة الأولى في الجماد لا يزال سِرًّا، وإنما المقرر المعروف أنه ليس في الحي عنصر أو مركَّب لا نجده خارجه في الجماد، فالجسم الحي مؤلف من الكربون والنيتروجين والأكسجين والهيدروجين والكبريت وجُملة أملاح أخرى، وبعض المركبات التي يصنعها الجسم الحي؛ مثل النشا والبول، يمكن صنعها الآن في المعامل الكيمائية.

إلا إننا إذا جمعنا المواد المؤلَّف منها الحي لمَ أمكننا مع ذلك أن نصنع خلية حية، ولكننا يمكننا مع ذلك أن نلمح شيئًا من طبيعة الحياة من تركيب عناصرها، فأهم خاصية في الحياة هي الحركة والنشاط، وأهم خاصية في عنصري النيتروجين والكربون هي أيضًا نوع من الاستعداد للحركة العنيفة، لأن هذين العنصرين يُستعملان في المواد الانفجارية؛ مثل البارود والديناميت.

ولا فرق بيننا، ونحن أرقى ما في الأحياء وأخر السلم الذي بلغته الحياة الآن،

وبين الخلية البسيطة، ولحُسن الحظ لا يزال في العالم أحياء مؤلفة من خلية واحدة مثل الأميبا، فجسم الأميبا مؤلَّف من العناصر والمركبات المؤلَّف منها جسمنا، وجميع خواص الحياة التي فينا نجدها فيها؛ ففيها الحركة، وفيها الإحساس بالألم؛ إذا وضعنا إلى جانبها حمضًا تراجعت عنه، وفيها التمثيل؛ تقبض على الطعام فتمثله في جسمها، وفيها النمو والتكاثر (تكاثر خلية الأميبا، أبسط الأحياء، بالانقسام).

فالحياة الأولى إذن لم تكن قد نشأت بهيئة أبسط من الخلية (وقد فقدنا آثارها)، فهي قد نشأت بهيئة خلية الأميبا الموجودة الآن. وجميع خواص الحياة موجودة كما قلنا بالأميبا، ولكنها في حال ابتدائية؛ فهي تهضم الطعام بجلدها، وهي تسير عليه؛ أي على هذا الجلد، وليس لها عين، ولكنها تميِّز الضوء من الظلمة، وليس لها أنف؛ ولكنها تشم الحمض وتحاول أن تفرَّ منه، وهلم جرًّا... فالفرق بيننا وبينها أنه قد حدثت فينا أنواع من التخصص في الأعضاء، فبدلاً من أن ننظر بجميع جلدنا صرنا نخص جزءًا منه لهذا العمل، وبدلاً من أن نهضم به صرنا نخص المعدة والأمعاء لذلك.

ولكننا عند التأمل نجد أن معدتنا وأمعاءنا هما جزء من جلدنا أيضًا، فالأميبا مثل الكرة، ونحن مثل الكعكة، كما يظهر ذلك لدى أقل تأمل؛ وخاصةً إذا صرفنا النظر عن الأيدي والأرجل، فنحن مجوفون من الوسط، وجلدنا السطحي متصل بجلدنا الداخلي من الفم إلى المخرج. زد على ذلك أننا نبدأ حياتنا في أرحام أمهاتنا خلية واحدة، تنمو كما تنمو الخلية، مع فارق وحيد، وهو أن الخلية إذا نمت وكبرت انقسمت قسمين، وعاد كل قسم فانقسم قسمين منفصلين، وهلم جرّ، أما نحن، فالخلية الأولى تنقسم خليتين دون أن تنفصلا، وتعود كل خلية فتنقسم قسمين متصلين، وهكذا.

* * *

# الحلقة الخامسة

# نشوء الحياة

الحياة، هذا السر العظيم، له تفسيرات روحانية وتفسيرات مادية، فهناك العديد من نظريات نشوء الحياة:

- **أولاً: نشوء الحياة في العالم العلوي (روحانيات):**

هل الوجود قبل الحيِّ العظيم؟ أم الحيُّ العظيم قبل الوجود؟

الرأي الروحاني، أن الله خلق الوجود بعد أن انبعث من ذاته... أمَّا الرأي المادي فإن الوجود سبق الله، لأن المادة لا تفنى ولا تُستحدث من العدم، ولا يمكن أن يكون شيء من لا شيء... ولكن في الروحانيات هناك المعجزات، وأن الله على كل شيء قدير: كُنْ فيكن.

قلنا إن الله انبعث من ذاته (من نافشي أفرش)، وأن انبعاث الله كان في أيام البروناية؛ الأيام البيضاء (البنجة)... وهذه تجليات الخالق في هذه الأيام المباركة:

- في اليوم الأول تجلى بهيئة ملك النور السامي.
- في اليوم الثاني تجلى بهيئة ماري دربوثا اليثا؛ ملك العظمة.
- في اليوم الثالث تجلى بهيئة عارف الحياة منداهيي.
- في اليوم الرابع تجلى بهيئة الحق الكامل.
- في اليوم الخامس تفجَّرت الينابيع وجرت المياه الحية البهية (اليردنا). وانتعشت الحياة في العالم العلوي عالم الأنوار، ومن النور خلق الله الملائكة المبجلين الذين أكملوا بأمرٍ من الله صُنع الحياة، لأن الحيَّ العظيم خلق الملائكة وخلق النشماثا وأمر الملائكة بإكمال صُنع العوالم وفق وصاياه وأوامره.

**صفات الحيّ العظيم:**

- أسبِّحك ربي بقلب طاهر، أيها الحيُّ العظيم، المتميز عن عوالم النور، الغني عن كل شيء، العلي فوق كل شيء، نسألك الشفاء والظفر، وهداية الجنان، وهداية السمع واللسان، ونسألك الرحمة والغفران... آمين يا ربنا يا رب العالمين.
- هو الحيُّ العظيم، البصير القدير العليم، العزيز الحكيم، هو الأزلي القديم، الغريب عن أكوان النور، الغني عن أكوان النور، هو القول والسمع والبصر، الشفاء والظفر، والقوة والثبات، هو الحيُّ العظيم، مسرة القلب وغفران الخطايا.
- يا رب الأكوان جميعًا، مسبحٌ، موقرٌ قيوم، العظيم السامي، ملك النور السامي، الحنانُ، التوابُ، الرؤوفُ الرحيم، الحيُّ العظيم، لا حدَّ لبهائه ولا مدى لضيائه، المنتشرةُ قوته، العظيمةُ قدرته، لا يشاركه ملكه أحد، وليس له والد ولا ولد، من يتكل عليه لن يخيب، ومن يسبِّح اسمه لن يستريب، ومن يسألهُ فهو السميع المجيب، ما كان لأنه ما كان، ولا يكون لأنه لا يكون، خالدٌ فوق كل الأكوان، لا موت يدنو منه ولا بطلان.
- أمامه الملائكة ماثلون بأضويتهم يألقون، ساجدين، خاشعين، شاكرين، مسبِّحين، هو الذي لا حدَّ له ولا كيل، ولا تدنو منه عتمة ولا ليل، هو الجلال والإتقان، هو العدل والأمان، هو الرأفة والحنان.
- الأول منذ الأزل، خالق كل شيء جميل، ليس له في الكون مثيل، رب أكوان النور جميعًا، وأسمى من الملائكة الأثريين جميعًا، إلههم جميعًا، هو النور الذي لا ظلام فيه، الحيُّ الذي لا موت فيه، الهادئ دون غضب، البهيُّ الساكن في الشمال العلوي القصي. أصل النيران جميعًا، المقيم في ملكوته، العادل في جبروته، أطلق الكاملين الصادقين، وطبع اسمه على أفواه المؤمنين، وباركهم ببركتهِ أجمعين، قدرته لا تُحصى في العدِّ والحُسبان، ولمعات تاجه تنطلق في كل مكان، وإشعاعات نوره تنبعث

من بين أوراق إكليلهِ ملء الأكوان.

- **ثانيًا: نشوء الحياة على عالمنا الأرضي:**

قلنا إن الأرض كانت تغمرها المياه الآسنة السوداء، ويسكنها الشياطين والجن والمردة. ثم أمر الحيُّ العظيم الملاك الأثري بثاهيل قائلاً له:

اذهب إلى عالم الظلام المملوء كله بالغائلة والنار الآكلة، عالم الفتنة المضطرب، عالم الغش والكذب، اذهب اليه وسيطر عليه، ابسط الأرض وارفع السماء وعلق الكواكب واجعل لها مدارات تدور فيها، هب الشمس ضياءً والقمر بهاءً والنجوم سناءً من سنائي، والماء عذوبةً والنار أنسًا... ولتبدأ بأمري الحياة، كوِّن بأمري الثمار والأشجار والأعناب ليبتهج العالم، وليكن رجل وامرأة اسمهما آدم وحواء ليسجد لهما الملائكة، ومن يعصى أمري مصيره النار.

بدايةً كما ذكرنا؛ كانت الأرض مسكنًا للجنِّ والعفاريت والمردة، أحد هؤلاء المردة تمكن من الوصول للحد الفاصل بين النور والظلام؛ وهو يجأر ويصيح ويهز أركان الكون، ارتعد الملائكة الأثريون وجفلوا من صوت هذا المارد وابتعدوا عن الحد الفاصل، فجاء كبير الملائكة منادتهي وطمَّنهم ألا يخافوا لأن الظلام لا يستطيع أن يهاجم النور... سبر منادهيي أغوار عالم الظلام فرأى عجبًا وقال مع نفسه: لماذا لم يقضي الحيُّ العظيم على هؤلاء الجبابرة؟... فجاءه الصوت: الله أدرى، وعليك أن تقوم بواجبك أيها الأثري المبجَّل.

كلَّف منادهيي الملاك الباسل هيبل زيوا باصطحاب عدد من الملائكة للقضاء على هؤلاء المردة وتعمير الأرض وجعلها عالم ملائكي.

أبناء السلام طلبوا من الملاك المبجل يوشامن أن ينزلوا ويكوِّنوا عالمًا يمجِّدون به أباهم يوشامن والحي العظيم.

كلّف الملاك أباثر سادن باب عالم الأنوار بالأمر، أباثر من مكانه نادى له ابنًا من المياه الآسنة أسمَاه بثاهيل، طلب منه أن يكثف الأرض ويرفع السماء ويمنح الشمس ضياءً والقمر نورًا والنجوم سناءً.

أمر الحيُّ العظيم أن يُصنع آدم من الطين الأحمر والدم والمرارة وأسرار الكون وأن تُصنع حواء أنيسًا له وأن يُمنحا الحياة بجلب نشماثا لهم من عالم الأنوار، وهكذا كان آدم وحواء وذريتهما وقصة زواج أولاد آدم وبناته من مثلائهم، حيث أُرسِلت بنات آدم إلى مشوني كشطة وجيء بالبنات المثيلات ليتزوجنَّ من الأولاد المُثلاء.

* * *

# الحلقة السادسة

# الانفجار الكوني العظيم

في الحلقات السابقة ورد العديد من المصطلحات المهمة، من الضروري توضيحها... ففي الحلقة الأولى ورد نصٌّ روحانيّ:

(الماء الحيُّ خُلِق أصلاً في عالم الأنوار، فبعد أن كان عالم النور؛ كانت الحياة، ومن الحياة جاء الماء الحيُّ، ومن الماء الحيّ جاء البهاء، ومن البهاء جاء النور، ومن النور جاء الملائكة الأثريون.

ويذكر كتاب الكنزا ربا أن الحياة تكوَّنت من الماء والنور، وبقدرة ملك النور السامي (الله)... فبأمرٍ من الحيِّ العظيم حلَّ الثمر العظيم داخل الثمر العظيم، ومنه كان أثير الضياء العظيم، ومنه تكوَّنت الحرارة الحيَّة، ومن الحرارة الحيَّة صار النور... وبقدرة ملك النور السامي صارت الحياة، وصار الثمر العظيم داخل الثمر العظيم، وصار فيه يردنا، وإذ صار يردنا صار الماء الحي؛ الماء المتألق البهيج... ومن الماء المتألق البهيج نحن الحياة صرنا، ثم صار الملائكة الأثريون، وبعد أن صرنا أيتها الحياة صار الظلام، بعده صار العوز والنقصان)

أمور روحانية من المهم توضيحها علميًا ليتقبلها ويصدقها العقل بعد كل هذا التطور المعرفي والتكنولوجي ومراكز المعرفة والوجدان، ولكي نتقرب من هذه النصوص الروحانية لابد أن نشرح بعض النظريات العلمية العملية أو النظرية المعزَّزة بحسابات رياضية من العلماء المختصين، وإحدى أهم هذه النظريات هي الانفجار العظيم (Big Bang)، ولكن تبقى المشكلة: ماذا كان قبل لحظة الانفجار العظيم؟!

* * *

**الانفجار العظيم:**

**– الكون عمومًا تكوَّن قبل ١٣,٧ مليار سنة، خلالها مرَّ بثلاث مراحل، والجزء الغامض من هذه المراحل هو جزء من الثانية الأولى بعد الانفجار الذي كان فيه الكون شديد الحرارة.**

**ومع تطور العلم الهائل مـازال الانفجار العظيم مبنيًا على الحسابات والفرضيات بالرغم من وجود بعض الدلائل العلمية لدى عدد من العلماء كمادة يمكن البناء عليها وتطويرها.**

**الكون بدأ يتشكَّل بعد مرور ذلك الجزء من الثانية الأولى وبدأ يتطور، ففي هذه المرحلة تكوَّن أول البروتونات والإلكترونات والنيوترونات، والتي كوَّنت أنوية وذرات، وتكوَّن الهيدروجين المتعادل كهربائيًا... ظهر إشعاع الميكروني الكوني (الإشعاعات الكهرومغناطيسية) والذي يستطيع الخبراء اليوم قياسه بالأجهزة الحديثة المتطورة... وبعد تكون الهيدروجين بدأ يتجمع مكونًا نجوم ومجرات وكـوازارات وعناقيد من المجرات الكثيرة والهائلة وأجزاء وشظايا بالمليارات.**

**كانت درجات الحرارة في البدء عالية جدًا، وبمرور الوقت بدأت هذه الحرارة العالية تنخفض شيئًا فشيئًا.**

**ينمو الكون بعد عدد من الثواني برحلة التأثر الضعيف الذي خلاله تنخفض درجة الحرارة بحيث تسمح لانفصال قوة الشد العالية (تأثر قوي عن قوى التأثر الكهرومغناطيسي والتأثر الضعيف)، فيحصل الانتفاخ الكوني ويزداد حجم الكون عدة مرات (يتمدد الكون) تتشكل خلالها جسيمات البناء الكوني الأولى، وتتحول بعض الفوتونات الهائلة العدد إلى جسيمات غير مستقرة مثل الكوارنات وهادرونات ثقيلة.**

**بعد مرحلة الانتفاخ الكوني (التوسع الكوني) ترتفع نسبيًا درجة الحرارة، وبعد أن كانت جميع القوى متحدة تبدأ الانفصال عن بعضها إلى قوة جاذبية وقوة عالية وقوة كهرومغناطيسية وغيرها من القوى غير المعروفة، فيمتلئ**

الكون بالإشعاع والكوارنات والإلكترونات والنيوترونات، ثم تبدأ مرحلة تكون الكوارنات ومرحلة الهادرونات ومرحلة اللبيوتونات ومرحلة الفوتونات، بعدها تنخفض درجات الحرارة بحيث يمكن للذرات أن تتكوَّن وتبدأ البروتونات تتحد مع النيوترونات بواسطة الاندماج النووي، فتتكون كتلة الهيدروجين بنسبة ثلاث أضعاف ما تكون في الليثيوم مع وجود عناصر أخرى مثل الليثيوم.

* * *

# الحلقة السابعة

# الانفجار الكوني العظيم ٢

**نسترسل بموضوع الانفجار العظيم:**

إذن بعد تكون كتلة الهيدروجين والهليوم تستمر كثافة الكون بالانخفاض بسبب تمدد الكون. عندما تنفصل الفوتونات يصبح الكون شفافًا بعد أن كان مظلمًا معتمًا، بعدها تبدأ المجرات البدائية بالتكون من تجمعات النجوم أو أشباه النجوم في بداية تكوينها.

بعد اكتشاف وجود المادة المظلمة خلال القرن الماضي افتراضيًا بالحسابات باعتبار أن المادة المرئية لا تستطيع وحدها تكوين المجرَّات.

مازالت الدراسات والحسابات الرياضية مستمرة، ومازال العلماء يحلمون بغزو الفضاء الخارجي بإرسال مركبات الفضاء المسبارات والمراقبة بالتلسكوبات العملاقة، والعلم الحديث توصل إلى أن مقدار الطاقة المظلمة (Dark energy) ٧٢٪ وأن المادة المظلمة (Dark matter) ٢٣٪، وأن المساحة المرئية مقدارها ٥٪ فقط. وهذا موضوع شائك ومعقَّد ويحتاج إلى شروحات طويلة وتركيز عالٍ ودراسة تخصصية لفهم ماهية الانفجار العظيم فيزيائيًا بشكل واضح ومفهوم.

وهناك نظريات علمية متعددة ظهرت حول الانفجار الكوني العظيم ونشوء الكون.

مثال ذلك النظرية النسبية للعالم أينشتاين عام ١٩١٥م، ونظرية الانفجار الكوني التي تعود للعالمين الروسي ألكسندر فريد مان والبلجيكي جورج لوماتر عام ١٩٢٢م، ونظرية التمدد الكوني للعالم أدوين هابل، ونظرية الحالة الثابتة للكون (الكون اللامتناهي أو الخلق المستمر) للعلماء فريد هويل، توماس غولد،

هير مانيوندي عام ١٩٤٩م، ونظرية الأكوان المتوازية (العالم هيو إيفرت)، ونظرية العوالم المتعددة (الفيزيائي نيلز بور)، وعلينا أن نتبحر بنظريات العالم الفيزيائي الكبير ستيفن هاوكنغ (Stephen Hawkin).

وما زال العلم والعلماء تشغلهم أمور فيزيائية واقعية وليست تخمينية مبنية على الافتراض والظن والحسابات الرياضية، أمور كثيرة وكبيرة لم يتوصلوا لحلها، فنحن مازلنا إلى الآن لا نعرف ما هي المادة المظلمة ؟ ولا نعرف ما هي الطاقة المظلمة، التي سبق ذكرها في هذه الحلقة؟... حقيقةً لا نعرف كيف حدث الانفجار العظيم؟ من لاشيء!!، هل بسبب الحرارة العالية جدًا؟ وماذا كان قبل لحظة الانفجار؟ حقيقةً لا نعرف لماذا وُجِد البروتون بهذه الكتلة وبهذه الشحنة بالذات؟

أمور كثيرة معقدة تحتاج إلى تفسير وإجابة... ولهذا عندما سُئل العالم الفذ أينشتاين: لماذا وأنت العالم الكبير تؤمن بالروحانيات؟ فأجاب: هناك كثير من الأسئلة ليس لها عندي إجابة، وهناك الكثير من الظواهر الطبيعية لا أملك تفسيرًا لها، لهذا أنسبها للروحانيات لأتخلص من الإحراج... وعندما سألوه عن وجود الحيُّ العظيم الله ربنا جميعًا، أجاب: أنصحكم أن تسألوا أحد علماء الفيزياء المتخصصين في علوم الفضاء ليجيبكم عن هذا السؤال.

* * *

# الحلقة الثامنة

# الدين و العلم

ليس هناك تطابق بالمطلق بين العلم والدين وليس هناك اختلاف بالمطلق أيضًا. إذ يجب الفصل بين الدين والعلم... الدين (الله) في القلب، والعلم في العقل، ولا يمكن المزج بينهما، ولهذا يجب فصل القلب عن العقل، وعمومًا إن لم تجد الله في قلبك لن تجده في أي مكان آخر، وضروري ألا يتدخل الدين في الحياة العملية، وعلينا أن نعرف أن القلب مصدر الأخلاق والقيم لأنها سبقت الدين، ثم جاء الدين ليتمِّم مكارم الأخلاق باعتباره مصدر من مصادر الأخلاق، كذلك العلم يمنحنا مزيدًا من الأخلاق الحميدة لذلك الإنسان العالم أحسن خُلقًا من الإنسان الجاهل.

ولغرض فهم نص ديني بأريحية وتفسيره ليواكب العصر يجب نزع القداسة من هذا النص.

الدين التوحيدي أنزله الحيُّ العظيم على عباده وحيًا أو إلهامًا سهلاً بسيطًا يرتكز على مرتكزين أساسيين: الأول توحيد الحيّ العظيم بالمطلق، والثاني تنفيذ وصاياه وتعاليمه التي ترتكز على مكارم الأخلاق، أمَّا التدين فتعني الشعائر والطقوس والشرائع التي أوجدها الإنسان لتميز الدين عن الأديان الأخرى، وهي قابلة للتطوير والتحديث لمواكبة العصر.

نكمل شيئًا عن الانفجار، لقد وصل الكون إلى درجة حرارة عالية جدًا فانفجر، وكما يسمونه الانفجار العظيم، وهذا الكون ليس الأول وليس الوحيد لوجود أكوان خلف الثقوب السوداء، فنظريًا وفق الحسابات الرياضية هناك ثقب أسود عظيم يملك قوة جذب هائلة وفوهة قطرها هائل أيضًا تبتلع كواكب

ونجوم وشموس، بل وتبتلع مجرات بكاملها وتلفظها إلى أكوان أخرى، وهناك فرضية بوجود ثقب أبيض يجمع هذه الكواكب والشموس ليشكِّل منها مجرات أخرى تبتعد عن بعضها بمرور الزمن بسبب تمدد الأكوان.

* * *

# الحلقة التاسعة

# الماء حلقة وصل

الماء الحيُّ هو حلقة الوصل بين عالم الأنوار والعالم الأرضي، وهو المعبر للنشماثا (النفس) في عروجها تساعدها الحياة والضياء، إذ توجد مياه في الأرض، ومياه في عالم النور، وبينهما توجد مياه.

الماء كما نعرف يتكون من ذرة أوكسجين وذرتين هيدروجين ($H_2O$) وهذا الجزيء يحمل شحنة سالبة تمثل $O_2$ وشحنة موجبة تمثل $H_2$ وهذا يعني وجود قطبين لهذا الجزيء بينهما قوة جذب تتأثر بارتفاع وانخفاض درجة الحرارة.

كذلك نعرف أن الماء من المواد الشاذة أصلاً، فهو يزداد حجمه عند الانجماد عكس الفلزات ما عدا البزموث، وهو ينتقل من التركيز المنخفض إلى التركيز العالي وهذا سرّ الخاصية الشعرية، وعندما يتجمد يطفو على السطح ليحافظ على درجة حرارة الماء الذي تحته من أجل بقاء الأحياء المائية واستمرار الحياة. والماء مادة مطهرة ومذيبة، وهو أفضل المذيبات والمنظفات.

يمثِّل الماء الجزء الأساس من الخلية الحية، و٧٠٪ من وزن الإنسان ماء. كما أن الماء يدخل في تركيب حتى الأجزاء الصلبة القاسية، ولا يمكن لأي مادة تشتعل ليس فيها نسبة من الماء، وهذا سِرٌّ عظيم من أسرار الماء.

وإذا عدنا للانفجار العظيم والحرارة العالية جدًا وتحرر الغازات، ربما الحرارة العالية والضغوط الهائلة أدَّت إلى اتحاد الأوكسجين بالهيدروجين عبر الزمن الطويل وتكون الماء، وإلا من أين جاءت هذه المحيطات والبحار وكل هذا الماء. كذلك تطاير مليارات الجزيئات كغبار ذري ما يسمى بالسديم وانتشاره، ربما كما يقول العالم "ستيفن هاوكنغ"؛ والعهدة على القائل؛ كل شيء صار من هذا الغبار الهائل.

الكنزا ربا الكتاب المقدس يقول كل شيء تمَّ بأمر الله، كل شيء كن فيكن، وأن الأرض كانت تغطيها المياه الآسنة، وعندما صبَّ الملائكة بأمرٍ من الحيّ العظيم (الله) الماء الحيُّ على المياه الآسنة أصبحت هذه المياه حية، كما يذكر الكتاب المقدس الكنزا ربا يذكر أن الحيَّ العظيم (الله) خلق النشماثا (النفس) وخلق الملائكة وأوكل إليهم إكمال صُنع العالم، يعني هناك خالق يخلق شيئًا ليس له وجود، وهناك صانع يصنع شيئًا موجودًا أو شبيهه... ولا يصح أن نقول: من خلق الخالق؟ أولاً لأنه خالق، وثانيًا إن قلنا خلقه الوجود مثلاً، فمن إذن خلق الوجود ؟! وهذه سلسلة لا نهاية لها.

وعلينا أن نفسِّر بعض الظواهر علميًا ان أمكن. صحيح قلنا ضرورة فصل العلم عن الدين، ولكن هناك إمكانية تفسير بعض الظواهر علميًا، فإن قلنا وينزل من السماء مطرًا (روحانيات)، نعزِّزها فيزيائيًا إذ يقول العلم إن المياه تتبخر ويرفعها الهواء على هيئة غيوم إلى الأعلى فتبرد، لأننا كلما ارتفعنا عن سطح الأرض كيلو متر واحد تهبط درجة الحرارة بمقدار ٦,٥ درجة لغاية ٦٥ درجة مئوية سالب تقريبًا، بعدها تثبت درجة الحرارة، فيتكثف الماء ويثقل وينزل مطرًا. هذه التفسيرات البسيطة وغيرها مطلوبة لتنوير العقل ولتقريب العلم من الدين قدر الإمكان في كثير من المفاصل الممكنة، نعم ينزل من السماء مطرًا ولكن كيف؟ ضرورة التوضيح والتنوير، ولكن يبقى الله في القلب والعلم في العقل، وعلينا أن نفسِّر كثيرًا من النصوص الدينية وفق متطلبات العصر والحداثة بقلبٍ مؤمن وعقلٍ نيِّر.

* * *

# الحلقة العاشرة

## التعميد

المصبتا وتعني الصباغة أو التعميد؛ هي ركن أساسي من أركان الدين الصابئي المندائي، ولها علاقة وثيقة بالماء والضياء والحياة، حيث يجب إجراؤها في المياه الحيَّة وبوجود النور، ولأنها تمنح المصبوغ حياة جديدة، فهي تعني الارتباط الروحي الوثيق بين العالم المادي الذي نعيش به والعالم الروحي (عالم الأنوار) الذي سنحيا به الحياة الأبدية الثانية بعد أن تغادر النفوس لأن "كل ما يُصنع بالأيدي يفسد، وكل حي يموت" في هذا العالم المادي.

الإنسان مهما كان؛ تزَّكيه حسناته ويُحاسب عن سيئاته، والصباغة تمنحه حياة جديدة، وعليه أن يحيا بصدق ونزاهة وإيمان لتخفِّف عنه ذنوبه يوم الحساب، ولتسَّهِل عروج النشماثا (النفس) إلى عالم الأنوار ليحيا مع أهله الطيبين.

يؤكِّد كتاب الكنزا ربا على رُكن الصباغة "أصبغوا نفوسكم بالصبغة الحيَّة التي أنزلها عليكم ربكم من أكوان النور، والتي اصطبغ بها كل المندائيين المؤمنين، من وُسِم بوسم الحي، وذُكِر اسم الحيّ عليه، ثم ثبت وتمسَكَ بصبغتهِ وعملَ صالحًا، فلن يؤخره يوم الحساب مؤخر).

الصباغة تتم في اليردنا (الماء الجاري النظيف) أي في المياه الصافية سواء في النهر أو في حوض التعميد المصمَّم لهذا الغرض، بحيث لا يكون فيه الماء راكدًا، لأن الماء الحي يرمز للحياة ونور الله في الأعالي، ومن الضروري أن يلبس المصطبغ الملابس البيضاء (الرستة) التي ترمز للنور والنقاء والطهارة، وعلى المصطبغ أن يحفظ اسمه الديني (الملواشة) بشكل مضبوط.

وقد أخذ الأخوة المسيحيون رسم الصباغة من الصابئة المندائيين بعد

أن عمَّد نبي الله يحيى بن زكريا السيد المسيح في نهر الأردن، ولكن الآباء المسيحيون مع الوقت طوَّروها إلى الرشِّ بالماء المقدَّس وسمَّوها التعميد بسبب أعدادهم ومسايرةً للتطور ومواكبة العصر، وسموًا يحيى (يوهنا الصابغ) بـ(يوحنا المعمدان) لكونه عمَّد السيد المسيح على الطريقة الصابئية المندائية بالغطس بالماء.

**لماذا الغطس بالماء وليس رش الماء ؟**

الغطس هو عملية انقطاع النشماثا (النفس) عن العالم المادي للحظات، لتبدأ حياة جديدة للإنسان المصطبغ. وحقيقة عملية أن الإنسان عندما يصطبغ وفق مراسيم الدين المندائي يشعر بالسعادة والفرح وقد زالت عن نفسه كل الهموم وكأنه وُلِد من جديد، حقيقة يشعر المصطبغ أنه يريد التحليق والطيران لأنه أصبح طاهرًا وقد تخلَّص من أدران الحياة ومن همومه، لأنه وُلِد ولادة جديدة.

هذه أمور روحانية تبعث السعادة والغبطة والسرور والطمأنينة والاستقرار النفسي ورفع المعنويات التي يحتاجها الإنسان، إنها شعور الإيمان والانتماء، فليس هناك أجلُّ وأعظم من أن يتوجه الإنسان إلى ربه طالبًا الرحمة والمغفرة والهداية من أعماق قلبه ليرتاح نفسيًا من هموم الحياة ومتاعبها، وهذا لا يتعارض أبدًا مع العقل وفهم الحياة والعلوم والتطور في كل الميادين.

* * *

# الحلقة الحادية عشرة

# البويضة

البويضة في رحم المرأة يلقحها حيمن واحد من ملايين الحيامن من الرجل فيتم الإخصاب لتبدأ مراحل تكون الجنين، ووفق الروحانيات يمر الإخصاب بالمراحل التالية: (نطفة... علقة... مضغة... جنين).

أمَّا العلم فيعطي تفاصيل دقيقة وتغييرات جوهرية لما يحدث في كل أسبوع.

المهم هنا أن هذا الجنين يسبح بماء الرحم ويستمد الحياة من خلال الحبل السري (حبل الحياة)، وبعد أربعين أسبوع قد تقل أو تزداد قليلاً؛ يخرج من الكون الصغير (الرحم) إلى الكون الكبير (الحياة) ويرى الضياء فتكتمل عنده الحلقات (الماء، الضياء، الحياة). في نهاية الشهر الرابع تدبُّ الحياة في الجنين ويبدأ يتحرك.

الروحانيات تقول إن كتلة اللحم هذه ولجت فيها النشماثا (النفس) أو كما تسميها بعض التراجم الروح، وتفسير العلم لهذه الظاهرة وفق مراحل نمو الجنين أنه يكتمل في الشهر الخامس ويصبح كامل الخلقة.

ومن الطرائف أنه في أمريكا بين مدينتين تفصل بينهما صحراء ممنوع يتجاوزها الإنسان بمفرده، وصادف أن امرأة حامل اضطرت للسفر بسيارتها الخاصة إلى اَهلها في مدينة أخرى، وفي النقطة الأمنية تمَّ تغريمها لأنها خالفت القانون، لكنها اعترضت لأنها حامل في نهاية الشهر الخامس بمعنى أنها ليست بمفردها، وقدَّمت تقريرًا طبيًا كدليل، فتم إلغاء الغرامة، لكنهم حرروا لها غرامة جديدة لجلوس شخصين في مقعد واحد.

**المهم من أين جاءت النشماثا لهذا الجنين؟**

وفق الفكر المندائي تقول الروحانيات: إن الإنسان يتكون من نفس وروح وجسد، والنفس شيء روحي من عالم الأنوار، هبة الخالق التي لا تفنى، وهي طاهرة نقية لا تشوبها شائبة، أمَّا الروح فتمثل الأعمال والفعاليات التي يقوم بها الإنسان من المهد إلى اللحد سواء كانت خيرًا أو شرًا، لأنها العنصر الطليق الذي يتحرَّك بحرية في الكائن الحيّ عبر الزمان والمكان. والروح تُحاسَب في محطات الحساب، أمَّا الجسد فهو فانٍ، جُبِلَ من تراب وإلى التراب يعود. وبعد الوفاة وعند عروج النشماثا إلى عالم الأنوار، تتحد الروح بعد نقائها في المطهرات مع النفس وتعود النشماثا إلى المثيل السني (الدموثا) الذي أُخِذتْ منه وأُعطيت للجنين في نهاية الشهر الرابع من الحمل.

روحانيًا فهمنا كيف تُبعث الحياة في الجنين... ولكن كيف تُبعث الحياة في البذرة الجافة عند الإنبات ووزنها مليغرامات بسيطة لتصبح شجرة عظيمة وزنها عدة أطنان؟

ولفهم كيف تُبعث النفس في الجنين من المهم الإطلاع على علم الأجنة الحديث وتسلسل تطور الجنين بالأسابيع والـذي لا يتعارض كثيرًا مع الروحانيات في هذه الخصوصية.

إن الحياة بحاجة إلى الماء والضياء لأنها حلقات متكاملة، فلا حياة للكائنات الحية بدون ماء وضياء.

* * *

# الحلقة الثانية عشرة

# الكرصة (الاعتكاف)

بمناسبة الاعتكاف في البيوت وتجهيزها بالشراب والطعام بسبب فيروس كورونا، هذا يذكرنا بالكرصة، العيد الكبير عند (الصابئة المندائيون).

ففي اليوم الأخير من السنة المندائية (كنشي وزهلي) والذي يعني الاجتماع والتطهير، وهو يقع في عصرنا هذا في الثُلث الأخير من شهر تموز الميلادي المبارك، تحلُّ علينا الكرصة (العيد الكبير) أو كما يسمونه دهوا ربا، والكرصة تعني الاعتكاف في البيوت لمدة ٣٦ ساعة، وتبدأ من غروب شمس نهاية السنة المندائية حتى شروق شمس بعد ليلتين ويوم من السنة الجديدة، وبهذه المناسبة تشكلت بداية حلقات الخلق والتكوين في عالمنا الأرضي وبداية الحياة بوجود الماء والضياء، ويسبق هذه المناسبة أن تجهِّز العائلات بيوتها بكل ما تحتاجه من شراب وطعام وأهمها الماء لأنه كان يُجلب من الأنهار الجارية فيما مضى من الزمان، وعلى الإنسان أن يحفظ نفسه وعائلته وينقطع عن مخالطة الآخرين تمامًا، والسبب يعود لأن الحياة في هذه الدنيا بدأت في المياه الجارية حيث خُلِقت السلالات الدموية (وخلقنا من الماء كل شيء حيّ)، فتلوثت المياه الجارية من هذه الولادات، وتحتاج المياه إلى وقت كافي لنقائها وصفائها، وقد تمَّ واكتمل خلق هذه السلالات في اليوم السادس والسابع من بدء تصلب الأرض، حيث يحتفل الجميع بعيد شيشلام فيقوم الناس ورجال الدين الأفاضل بتضفير أكا ليل الأغصان والورود لتعلَّق على الأبواب.

هذه أمور روحانية حدثت في بداية نشوء الحياة في الماء وبوجود الضياء، وهناك تفسيرات روحانية ميثولوجية أخرى لتفسير الكراص (الاعتكاف) منها: أنه عندما صُنِع جسد آدم من الطين الأحمر والدم والمرارة ومن أسرار هذا الكون؛ لم يتحرك، فذهب الملائكة إلى عالم الأنوار وجلبوا له نسمة الحياة

بمعنى روح أو كما يسميها الصابئة المندائيون (نشماثا)، واستغرق الأمر ستة وثلاثين ساعة.

وهناك رأي آخر بالمعنى نفسه تقريبًا، أن هناك ثلاث ملائكة يحرسون هذا العالم. وفي كل عام في هذا الوقت يذهبون إلى عالم الأنوار فتستغرق رحلتهم ذهابًا وبقاءً وإيابًا ستة وثلاثين ساعة، ولأن الناس يبقون بدون راعٍ وحراسة؛ فعليهم أن يعتكفوا خلال هذه الفترة، ثم بعد عودة الملائكة يخرجون ويحتفلون بعودتهم، وببدء السنة الجديدة.

وإذ أخذنا الموضوع من تفسيرات اجتماعية حياتية أي مادية، فلربما في ماضي الزمان حدث وباء مثل كورونا مما تطلب من الناس تهيئة المأكل والمشرب والكراص في بيوتهم حفاظًا على أنفسهم وتجنب انتشار الوباء، وعندما انحسر الوباء خرجت الناس مبتهجة واحتفلت بانتصارها على الوباء وجعلوا من هذه المناسبة السعيدة عيدًا يحتفلون به كل عام، وهكذا جرت العادة، وأملنا عظيم بانتصار العلم على هذا الوباء وبعون ومباركة الحيّ العظيم الله ربنا جميعًا، ولنا أمل كبير بالاحتفال قريبًا بانتصار العلم على هذا الفيروس.

ولهذا نقول: الدين في القلب ومن لم يجد الله في قلبهِ فلن يجده في أي مكان، ويبقى العلم والمعرفة في العقل هذا العقل الإنساني الجبار الذي طوَّر البشرية في كل المجالات.

* * *

# الحلقة الثالثة عشرة

# العوز و النقصان

وردت في الحلقات السابقة مصطلحات تحتاج إلى توضيح ومنها العوز والنقصان...:

لماذا أصاب الإنسان العوز والنقصان؟... ولهذا السبب يتوجع ويشيخ ويموت.

الموت هذا اللُغز المحير الذي يخافه الجميع خاصةً هذه الأيام العصيبة أيام الاعتكاف في البيوت خوفًا من الموت بسبب فيروس الكورونا. لقد تغنَّى عدد من الشعراء بالموت مكرهين...

يقول عنترة بن شداد:

إنَّ المنيةَ منهلٌ لابدَ أن أُسقى بكأسِ المنهلِ

ويقول طرفة بن العبد:

لعمرك ما أخطأَ الموت الفتى لكَ الطول المرخا وثنياه في اليدِ

ويقول كعب بن زهير:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يومًا على آلةِ الحدباء محمولُ

كثيرة هيَّ الأشعار، حتى الكتب الدينية تؤكد ذلك ومنها كتابنا المقدس الكنزا ربا:

- (أنتم تسمونه الموت ونحن نسميه الحق)...
- (كل ما يصنع بالأيدي يفسد وكل حي يموت).

- وكما ورد القرآن الكريم:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ (١).

- وكما ورد في الكتاب المقدس:

(الخير والشر، الحياة والموت، الفقر والغنى... من عند الرب).

إذن نحن نعيش لنموت... لماذا ؟ ولماذا نفارق أهلنا وأحبابنا ؟!.

القصة الروحانية كما وردت في كتاب الكنز العظيم (الكنزا ربا)... أن الحيُّ العظيم الله ربنا جميعًا يريد أن يجعل من عالم الظلام (آلمة دهشوخا) عالمنا الأرضي عالم نوراني يعيش فيه الملائكة الأثريون مِثله مثل عوالم النور، ولهذا كلَّف الملاك المبجل منادهيي بهذه المهمة... كلَّف الملاك منادهيي الملاك هيبل زيوه بعد أن هيأهُ وسلَّحه بمزيدٍ من الضوءِ والنورِ وبعددٍ من الملائكةِ الأثريين، فنزلوا إلى عالم الظلام، وتمَّ القضاء على المردةِ والجنِّ والعفاريت وعلى عظيمهم كرون الكريه (أور) وعلى أمهم الروهه. وعاد هيبل زيوه يبشِّر أباه بهذا الإنجاز العظيم... هذا باختصار شديد.

والذي حدث أن أولاد الملاك يوشامن أولاد السلام طلبوا من أبيهم أن ينزلوا على وجه السرعة ليبنوا هذه الألمة التعبانة (عالمِ الظلام) المملوء كله بالشرِ، بالغائلة، بالنار الأكلة، علم الفتنة المضطرب، عالم الغشِّ والكذب، المزروع بالشوكِ والعليق... يعيدون تنظيمه، ويسبِّحون ويمجِّدون الحيَّ العظيم وأباهم يوشامن، ومن هنا بدأ القلق والاضطراب في العالم، وهذا ما حصل، كُلِّفَ الملاك أباثر سادن باب آلمة دنهورة (الجنة) بهذه المهمة... حدَّق أباثر بالمياه الآسنة السوداء من على بُعد، ونادى له ابن سماه بثاهيل وكلَّفه بهذه المهمة المُعقدة... بالنتيجةِ تمكن أبثاهيل وبأمرٍ من الحيِّ العظيم، فرفع السماء وبسط الأرض ونادى ملائكة النار، وهبت الشمسُ ضياء، ووهبَ القمرُ بهاءً، والنجوم سناءً، ورفعت كلٌ إلى مدارِ، وتكونت العواصف والنار،

(١) سورة الرحمن: الآيتان ٢٦ - ٢٧

وتكونت الثمار، والأعناب والأشجار، وكُوِّن الحيوانُ الأليف، والوحش الكاسر، ومن الطين الأحمر والدم والمرارة وأسرار الكون صنع جسد آدم وجلبت له نشماثا (النفس) من عالم الأنوار بقدرة ملكِ النور...

والحديث هنا طويل وشيق، ولكن السؤال: لماذا كان الموت نصيبنا؟

التفسير الروحاني أن الملاك بثاهيل لم يُخلق من اليردنا (المياه الحية الجارية الصافية) وإنما من مية سيانا (المياه الآسنة) فجاء ناقص ضوء ونور (لاحظ هنا ارتباط الماء والضياء بالحياة)، ولأن جسد آدم من طين وليس من نور (لان الملائكة جُبِلوا من نور، والجن من نار، والإنسان من الماء والتراب؛ أي من الطين)، ولأن العفاريت والمردة ساعدوا بثاهيل في صنع جسده (قالوا جئنا لنكون لك خُدَّامًا مساعدين)... ولأن... ولأن... حُكِمَ على بني آدم بالعوزِ والنقصان وبالأمراض والأوجاع والشيخوخة والموت...

ويبقى السؤال: إذا كان بثاهيل قد أخطأ في حق أبينا آدم؛ فما ذنبنا نحن معشر البشر؟ ولماذا نُعاقَب كل هذا العقاب العسير والطويل ؟... ولماذا لا يتشفع لنا بثاهيل وهو يعيش في عالم الأنوار معزَّزًا مكرّمًا؟... ولماذا لا ينصفنا أباثر وبيده الميزان وهو سادن باب الجنة؟... ولماذ أهلنا الأخيار الذين فارقونا لا يقيمون هناك احتجاجًا أن تكون هذه الآلمة (عالمنا الأرضي) جزءًا من آلمة دنهورة (عالم الأنوار)، فما الضير في ذلك؟

معذرة لرجال ديننا الأفاضل إن تجاوزتُ الحدود، ومعذرة من الأساتذة المطلعين، ومع هذا يبقى السؤال: لماذا كل هذا الاهتمام والعالم قد استنفر كل إمكاناته للقضاء على كورونا لأنها تؤدي لهذا الموت؟ ولماذا لا يجنِّد العالم كل طاقاته العلمية والمادية للقضاء على الموت أساس كل العلل؟... سيقولون إنه أمر روحاني لا نقدر عليه...

الكورونا فيروس لا يُرى بالعين المجردة ولا يُلمس، فهو قريب للأمور الروحانية، ولكن الإنسان بعقله الجبار وبتطور التكنولوجيا تمكَّن من رؤيته

بالميكروسكوبات، وتمكَّن من لمسه بالمختبرات، والإنسان يجاهد بإيجاد إكسير للقضاء عليه كما قضى سابقًا على الملاريا والطاعون والكوليرا وغيرها من الأمراض التي كانت مستعصية على البشرية، فهل الإنسان بكل هذه الإمكانات أصبح عاجزًا عن فهم كنه الموت؟ أم انه آمن بأنه قدر لا مفرَّ منه بسبب الروحانيات...

وطالما الماء والضياء من أُسس الحياة، فلا بدَّ من التعمق والغوص في أسرار الخلية الحيَّة ودراسة مفاتيح الحياة.

* * *

# الحلقة الرابعة عشرة

## الخلية الحيَّة

الحياة كلها عطاء، لأن الماء كله كرم وعطاء، والضياء كله إشعاع وعطاء... وأساس هذه الحياة الخلية الحيَّة، لأنها الوحدة البنائية التي يتكون منها أجسام جميع الكائنات الحية، من البكتيريا أبسطها تركيبًا إلى أكثرها تعقيدًا مثل النباتات، ومن عظمة الحيِّ العظيم الله ربنا جميعًا أن هذه الأجسام من أصغرها التي لا تُرى بالعين المجردة، إلى أعظمها مثل الأشجار الشامخة والحيوانات الضخمة؛ تتكوَّن من وِحدة الحياة الأساسية (الخلية الحيَّة).

وهذه الخلية المتناهية الصغر والمعقدة التركيب هي المسؤولة عن إنتاج الطاقة، وذلك بتحويل الغذاء إلى طاقة، في النباتات تنتج البلاستيدات الخضراء هذه الطاقة عن طريق البناء الضوئي، أي بوجود الضياء.

أمَّا الماء الذي يشكِّل ٧٠٪ من وزن جسم الإنسان، فهو يشكِّل من ٧٠٪ إلى ٨٥٪ من وزن الخلية، وهو الوسط الرئيسي للخلية، لأنه أفضل المذيبات للمواد الكيميائية المذابة في الخلية... إذن الماء يشكِّل أعلى نسبة بين المركبات الكميائية لمختلف الخلايا والأنسجة، مع بعض الاستثنائات كما في العظام والبذور الجافة والسبورات، لأن الماء كما ذكرنا مذيب طبيعي ولا يمكن الاستغناء عنه في عمليات الأيض.

كل الكائنات الحية تتكوَّن من خلية واحدة أو أكثر، وتنتج الخلايا من انقسام الخلية بعد نموها، وتنقسم الخلايا عادةً إلى خلايا نباتية وخلايا حيوانية، ويسمَّى مجموع الخلايا المتشابهة بالتركيب، والتي تؤدي معًا وظيفة معينة بالنسيج، وأهم مكونات الخلية الأساسية: الماء، البروتينات، السكريات، الشحوم والطاقة (electrolytes).

* * *

# الحلقة الخامسة عشرة

# فيروس كورونا

هذا زمن فيروس كورونا، الفيروس واسع الانتشار حاليًا، والذي يهدِّد حياة الناس، وإلى الآن مازال العلماء يجاهدون لإيجاد دواء أو لقاح شافي يجنِّب البشرية المزيد من الأضرار. ورغم التقدم التكنولوجي الهائل في كل المجالات، ورغم أن الفيروسات متناهية الصغر لا تُرى بالعين المجردة فإننا لا نستطيع الاستفادة من كل الأسلحة الفتاكة من قنابل نووية وصواريخ بلاسيتية أو مدارية عابرة في قتله، والسلاح الوحيد الذي يستطيع قتله الماء والضياء لتستمر الحياة. باستخدام الماء والصابون نستطيع قتله وتقليل أخطاره وانتشاره، وبضياء الشمس وارتفاع درجات الحرارة يتمُّ القضاء عليه أيضًا.

طبعًا يوجد في الطبيعة كمٌّ هائل من الفيروسات، لكن فيروس كورونا من الفيروسات الجديدة المتطورة، بالتأكيد نتيجة تجارب بيولوجية من صنع الإنسان سواء كان هذا الإنسان صينيًا أو أمريكيًا أو روسيًا، فالذي يفكِّر في صُنع القنابل النووية المدمِّرة للبشرية بالتأكيد يمكنه التفكير في صناعة مثل هذه الفيروسات والغازات السامَّة مثل السارين وغيره، وبدلاً من التفكير في رفاهية الإنسان؛ هناك من يفكِّر في دمار الإنسان؛ مرةً باسم العلم والتطور، وأخرى باسم الدين، وهكذا... والله وهبَ الإنسان هذا العقل الجبَّار ليكون الدين والعلم رحمةً وليس نقمة.

وتبقى قوة وديمومة الحياة بوجود الماء والضياء للقضاء على Covid-١٩ والتي تعني: المرض الفيروسي التاجي لعام ٢٠١٩.

هناك من يدَّعي أنه ليس فيروس وإنما غاز السارين القاتل والذي سينتهي مفعوله قريب جدًا... وهنا اختلفت الأمور، لأن الفيروس كائن حي والغاز ليس

كذلك، ثم لو كان فرضًا غاز السارين؛ لماذا لم يقتل الطيور في الجو مثلاً، ثم أن غاز السارين نوعًا ما غاز ثقيل يتحول إلى رذاذ وينزل على الأرض والحيوانات ترعى في مراح الأرض، فلِمَ لا تموت هذه الحيوانات؟... إذن هذا فيروس طوَّره الإنسان في مراكز الأبحاث، مثلما طوَّر الذرية إلى نووية والنووية إلى نيوترونية... والله الساتر من القادم.

* * *

# الحلقة السادسة عشرة

# أريدو و سومر

ذكر الباحث المقتدر الأستاذ الدكتور خزعل الماجدي في كتابه (أصول الناصورائية المندائية في أريدو وسومر) أن أقوامًا عديدة هاجرت إلى بلاد الرافدين في السهل الرسوبي الجنوبي الخصيب بعد زيادة عدد الأقوام شمالاً (بلاد مابين النهرين)... وقسم من هذه الأقوام استقروا على نهر الفرات جنوب الناصرية حاليًا، وبنوا أول مدينة في التاريخ "أريدو" وتعني الأرض، وكانوا يؤمنون أن الماء أساس الخصب ولولاه ما عاش الإنسان والحيوان والنبات، وأن هذا الماء الصالح للشُرب والزراعة هو أصل الحياة كلها؛ فسَّموا نهر الفرات يردنا بمعنى (نهر الأرض)، وأطلقوا اسم شنعار على هذا الوادي الخصيب المأخوذ من اسم سونار (شعب مدينة وحضارة أريدو، ظهرت في حدود ٥٠٠٠ ق. م وانتهت بحدود ٤٥٠٠ ق. م) والتي اندثرت تحت حضارة العبيد وسومر التي أعقبتها.

إن الشعب الذي بنى مدينة أريدو كان يسمى ناسار، ناصور، ناصر، نصر وهذا الاسم ورد في أسماء ملوك وادي الرافدين مثل: نبوخذنصر، شيلمانصر، وغيرهم...

ويرى الكاتب في بحثه أن هؤلاء القوم هم الناصورائيون أي المندائيون، وهذا الشعب هو أول من أسَّس الكثير من فنون وعلوم الحضارة قبل حضارة سومر وحضارة العبيد وكان هذا قبل ظهور السومريين، وقد طوَّر الناصورائيون العجلة والسُّفن الشراعية ونظام الري وكثيرًا من الأمور... ويتضح أن هناك علاقة واضحة بين الديانة المندائية والسومرية بحكم تجاورهما في البيئة المائية واعتقادهما بوجود عالميّ النور والظلام مع وجود تشابه في بعض الطقوس...

ويذكر الكاتب أن الديانة المندائية كانت ديانة شفاهية غير مدونة، ولهذا لا توجد نصوص مدونة بالخط المسماري، لكن طقوسها كانت صارمة وقد حُفِظت. ومع هذا لم تكن الديانة الناصورائية في ذلك الزمان كما هي الديانة المندائية حاليًا كما يعتقد الباحث.

ثم جاء العصر الآكدي عصر عبادة الإله شامش (الشمس) أي الضياء، الذي أصبح مع مجموعته الكوكبية بمواجهة آلهة الحياة والمياه والخصب والضياء... ثم جاء العصر البابلي الذي يعظِّم الآله مردوخ.

تمسك الناصرائيون بتوحيدهم وفصلوا بين عالم النور والحياة وعالم الظلام، وظلوا قرب المياه البهية بعيدين عن الصراعات... إلى أن جاء العصر البابلي الكلداني الذي انتصرت فيه الآرامية ثقافةً ولغةً ودينًا، والتي اتخذ مليكها نبونائيد عقيدة التوحيد.

لكن المندائيون شعروا أن الكلدانيين يتجهون بقوة نحو تعظيم الكواكب حتى في دعواتهم التوحيدية فتمسك المندائيين بعقيدتهم التوحيدية المضادة للكواكب والممجدة لعالم النور والحياة من خلال النور الحيُّ والماء الحيُّ رمزا الحياة الذي يمثلهما الحيُّ العظيم ملك النور السامي (هيي قدمايي).

ان المندائيين صمدوا كل تلك العصور متمسكين بعقيدتهم التوحيدية هذه أمام صعود وسقوط العقائد والأديان والآلهة.

وبعد السبي البابلي لليهود من قبل البابليين بقيادة نبوخذنصر، وأصبح التنافس واضحًا بين ديانتين تدعيان التوحيد، لكن الديانة المندائية كانت مصدرًا للغنوصية وأصلها.

* * *

# الحلقة السابعة عشرة

# مُدن سكنها الصابئة المندائيون قديمًا

المندائيون من الشعوب الآرامية التي اعتنقت الدين المندائي فأُطلق عليهم مندائيون، وهناك من الشعوب الآرامية من اعتنق المسيحية فأُطلق عليهم السريان، ومن اعتنق الدين اليهودي أُطلق عليهم عبرانيون... وهكذا... فاضعف هذا التقسيم الآراميون كشعب كبير.

- **نشأة المندائيين:**

أولاً: مندائيو بلاد الرافدين (دجلة والفرات والكارون والكرخة والدزّ).

ثانيًا: مندائيو فلسطين (يهيا يهانا - يوحنا المعمدان - يحيى بن زكريا) نكبة المندائيين في القرن الأول الميلادي (اليهو طايي، والهروب إلى الجبال والهجرة إلى حران).

ثالثًا: مندائيو حران، سفينة نوح وسام ابن نوح ونهوريتا (إعلام حران آل صابي، وآل قرة) في زمن انفتاح الدولة العباسية.

رابعًا: مندائيو أرض الكنانة (فروخ وأردوان).

خامسًا: مندائيو الجزيرة العربية (الأحناف والصابئة).

- **أهم المدن التي استوطنها المندائيون في التاريخ القديم:**

أولاً: مدينة أريدو وسومر:

بعد أن زاد عدد الناس في بلاد مابين النهرين في الشمال؛ انحدرت أقوام إلى وادي الرافدين في الجنوب حيث الماء الوفير أساس الحياة وبنوا أول مدينة في التاريخ أسموها أريدو وتعني الأرض، حوالي ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد تحت

حضارة العبيد وسومر، ولكنها اندثرت في عام ٤٥٠٠ قبل الميلاد. كان شعب هذه المدينة يطلق عليهم اسم "ناصورائيون"، ومنها كلمة ناصر التي تزيِّن أسماء ملوك ذلك الزمان مثل نبوخذنصر وشلمنصر وغيرها، وقد تمكن الناصورائيون في هذه المدينة من تطوير الدولاب والسُّفن الشراعية وصناعة أنواع الزوارق.

ثانيًا: مدينة فدان آرام (آرام دمشق، آرام النهرين)

سكن المندائيون مدينة فدان آرام ولكن لم يكن لهم وجود سياسي، لأنهم فرقة دينية بمعنى كيان ديني لم يكن لهم أي طموح سياسي، بينما الأقوام الأخرى أسَّسوا لهم كيانات سياسية مثل أور، الوركاء، كيش، أوروك، ومثل كندة، الغساسنة، الانباط، حمير ومعين وسبأ في اليمن.

ثالثًا: أورشليم فلسطين

والأدلة:

- وجود نبي الله يهيا يهانا (اقرأ مذكرات المؤرخ اليوناني يؤسيفيوس الذي عاصر ذلك الزمن).
- ما ذكره لنا كتاب حران كويثا وهجرة المندائيين سنة ٧٠م.
- وجود كتاب دراشة آد يهيا الذي يذكر لنا مواقع فلسطينية.
- قُرب اللهجة المندائية من اللهجة العبرية.
- ما يذكره عدد من المؤرخين عن علاقة نبي الله يحيى بالسيد المسيح وتعميده.
- توفر دراسات D.N.A ولكنها إلى الآن غير موثقة عالميًا.

رابعًا: مدينة ميشان (مي شان)

خامسًا: مدينة المدائن

ومنها إلى شوشتر وديزفول والخفاجية والبسيتين والمحمرة. وقصة نكبة

المندائيين في شوشتر سجلها التاريخ.

- سادسًا: طيب ماثا في ميسان

وانتشر المندائيون في مدينة المدائن وبنوا عدة منادي وانتشروا في مدن عربستان وجنوب غرب العراق وتمركزوا في طيب ماثا. سكنها المندائيون عند هجرتهم من حران إلى الجنوب، (اقرأ كتاب حران كويثا وكتاب معجم البلدان لياقوت الحموي).

سابعًا: سورا وكوثا (الكوفة حاليًا).

هذه مُدن بناها المندائيون في زمن الملك الساساني بهرام الأول الذي أعدم ماني. ولأن ماني من أصول مندائية فقد شمل الاضطهاد أهله المندائيين.

ثامنًا: حران والعصر العباسي.

تاسعًا: مدينة واسط

سكنها المندائيون قبل الفتوحات الإسلامية. وكان أشهر البيوت العلمية (بيت مندى) وقد استلم هذا البيت حكم القضاء في المدينة والحركة الثقافية وأسَّسوا مقامات الحريري المشهورة. ويذكر لنا الأصبهاني أن شعراء بغداد وأدباءها استفادوا لاحقًا من هذا الإرث، وقد اشتهر الرسام الفيلسوف الواسطي منهم. وعدد من القضاة.

عاشرًا: مدينة الصالحية (أنديمشك).

سُميت الصالحية نسبة إلى الشيخ صالح الزهيري، سكنها المندائيون من عائلة البو زهرون، ولكن حُكام لرستان في عهد كريم خان زند (كريم تشمال) الذي استعان ببربر الجبال فقتل رجالهم وسبى نساءهم ونهب أموالهم، فهرب عدد منهم إلى الأهوار والسوس، وأسلم الآخرون ليتفادوا القتل، ويحافظوا على حياتهم.

أحد عشر: مدينة تل خيبر في أهوار الناصرية.

فقد تم اكتشاف قصر مساحته ٤٤٠٠ متر مربع تحت مياه الأهوار، وكانت هنالك مملكة يحكمها ملك اسمه (ايادا كالإما) في عام ١٥٠٠ قبل الميلاد، وقد عُثِر في القصر على ألواح عديدة دراستها مازالت جارية، وقد تعرَّض أجزاء منه للتلف.

اثنا عشر: الصبية في الكويت

وهل الكويت هي حران كويثا ؟

أمور كثيرة ومدن متنوعة تحتاج دراسة وضرورة العثور على آثار اركلوجية تعزز هذه البحوث والمكتشفات، وللأخ الفاضل الأستاذ عامر جندال أبو فراس محاولات جادة وقيمة في هذا المجال.

* * *

# الحلقة الثامنة عشرة

# مُدن سكنها الصابئة المندائيون في العصر الحديث

الصابئة المندائيون عاشوا ردحًا من الزمن في أعماق الأهوار كبيئة صالحة لحمايتهم وحماية دينهم، وابتعدوا عن مظاهر المدنية رغم التخلف الذي كان يلفُّ المنطقة بأسرها، حياة بسيطة بدون تعليم أو رعاية صحية... وتحملوا شظف العيش وفتك الأمراض المستوطنة في بيئة الأهوار، مستفيدين من وفرة الأسماك وتربية الطيور والحيوانات الداجنة، والاستفادة من الطيور المهاجرة في فصل الشتاء. طعامهم يختصر على الحليب ومشتقاته والسمك والطيور وبيضها، أمَّا الحبوب فتتم بالمقايضة لأنهم أصحاب حِرف يحتاجها الفلاحون والصيادون.

سنركِّز في هذه الحلقة على المُدن التي عاش فيها المندائيون في العصر الحديث، ونقصد بها الأقضية والنواحي التي أُنشئت على حافات مياه الأهوار في حاضرتيّ العمارة والناصرية حيث المياه البهية والشمس الساطعة، فهم دائمو البحث عن الماء والضياء أساس الحياة، وهناك قرى وقصبات أنشئت في عمق الأهوار، ثم نستعرض بعض مراكز المُدن مثل العمارة والناصرية والبصرة وبغداد باعتبارها مُدن رئيسية سكنها المندائيون في الزمن الحديث:

- **حاضرة العمارة وأهم نواحيها:**

تذكر لنا المصادر أنه في أواسط القرن التاسع عشر؛ حدث خلاف شديد بين شيوخ عشيرة البو محمد بعد وفاة رئيس عشيرتهم فيصل بن خليفة وتولي ابن أخيه وادي بن منشد الذي حرم أولاد فيصل من المشيخة، فسارع شياع ابن فيصل بالشكوى للوالي العثماني، الذي أنصفهم وأرسل كتيبة عسكرية لنجدتهم، ولكن قائد الحامية التركية نصحهم بعدم الدخول في حرب مع البو

محمد لكثرتهم ولأنهم يعرفون ممرات الأهوار الواسعة والمتشعبة والتي تمتد داخل إيران، ومنحهم المثلث الخصيب الواقع بين أنهار المشرح والكحلاء ودجلة والبتيرة... فوافقوا على ذالك، وشمَّروا عن سواعدهم لبناء مدينة العمارة، فسمَّوها في بادئ الأمر "الأوردي" نسبة إلى الكتيبة التركية، ثم سمَّوها الحد أو السن، ثم الولاية وبعد حين سموها الإمارة... وأخيرًا استقر الرأي على تسميتها العمارة نسبةً للعمران والبناء الذي بدأ في عام ١٨٦١م.

أما كيف سكن المندائيون هذه المدينة التي سُميت لاحقًا محافظة ميسان، وهو اسم آرامي وتعني (مي شان) المذكورة في الكتب المندائية، فهذا ما سنتعرف عليه في الحلقة القادمة.

* * *

# الحلقة التاسعة عشرة

# سكن العمارة

ذكرنا في الحلقة السابقة كيفية اختيار الأرض وكيفية تسمية وبناء مدينة العمارة، وفي هذه الحلقة نتحدث عن كيفية سكن الصابئة المندائيين في هذه المدينة حديثة البناء والعمران.

تذكر لنا المصادر والموروثات أن عددًا كبيرًا من العائلات المندائية تحركت بهجرة داخلية من الشطرة والرفاعي والچبايش وعدد من ضواحي الناصرية في زمن شيوخ المنتفك... ففي بادئ الأمر عقدوا العزم مجتمعين على التوجه إلى ناحية الطَّوَيل والتعاقد مع عشيرة آل أزيرج الكبيرة ليعيشوا جوارهم وبحمايتهم، ولكنهم اختلفوا بالرأي... وبعد مشاورات ومناقشات بين حكمائهم وأهل الرأي عندهم قرَّروا التوجه إلى الكوت (محافظة واسط حاليًا) والتعاقد مع عشيرة ربيعة الكبيرة... وبطريق الصدفة أخذهم مجرى نهر دجلة فمروا بزوارقهم الكثيرة بمدينة العمارة الحديثة وهي في بداياتها، فشاهدهم شيخ شياع، وسأل عنهم، فعرف أنهم من الصابئة أصحاب الحِرف المشهورين بمهاراتهم في صناعة الزوارق بأنواعها (بلم، طرادة، چليكة، زورق، مهيلة، سفينة...)، وكذلك مهاراتهم في صناعة الأدوات التي يحتاجها الفلاحون والصيادون، وأن معظمهم نجارين وحدادين ومهرة في البناء وفي صناعة الأسلحة وصياغة الحلي... فعرض عليهم الضيافة وأقنعهم بعد أن أعطاهم ضمانات أن يعيشوا معهم في أمان وسلام على هذه الأرض المعطاء ويساهموا بمهاراتهم في الحدادة والنجارة وأعمال البناء وصناعة الزوارق؛ في بناء وإعمار هذه المدينة الحديثة... فوافقوا جميعًا على هذا العرض السخي وقبلوا السكن في هذه الأرض الطيبة.

منحهم شيخ شياع أرضًا على ضفاف نهر الكحلاء احترامًا لطقوسهم الدينية التي تجرى بوجود الماء والضياء أساس الحياة... فاستقروا وأبدعوا وسمَّوا

محلتهم في البداية محلة الصابئة، ثم غيروها فسمَّوها محلة السرية... وبمرور الزمن هاجرت لها كثير من عائلات الصابئة المندائيين من مدن وسط العراق وعربستان والبصرة والقرى والقصبات المجاورة، لوفرة الخير وكثرة الأسماك والطيور، ولعذوبة المياه وحلاوة المناخ، وتوفر مواد البناء محليًا... فباشروا بدايةً في بناء بيوتهم من القصب والبردي، وبعد حين طوَّروها إلى اللبن (طابوق مجفف بالشمس ورثوه من السومريين) والطابوق والفرشي المفخور بالنار، بحيث تستوعب عائلاتهم الكبيرة وضيوفهم ومخازن غذائهم، ومراحات لحيواناتهم وطيورهم الداجنة.

أصبح الناس بحاجة ماسَّة لخدماتهم في صناعة العِدد اليدوية المهمة، كذلك أصبح الشيوخ بحاجة لهم في صناعة الأسلحة والحلي الفضية والذهبية لنسائهم... فأحبهم الناس لمهارتهم وأمانتهم وصدقهم وإيمانهم وتوحيدهم وحبهم للناس ودماثة أخلاقهم وتمسكهم بقيم الشرف والعادات والتقاليد، فصديقهم بمثابة أخ يصونون الصداقة وحق الجيرة ولا ينظرون إلى ما ليس لهم، يصومون الصوم الكبير صوم القلب والعقل والضمير، والصوم الصغير امتناعهم عن أكل كل ما فيه روح لمدة ٣٦ يوم موزعة على أيام السنة، ويصلون ويصطبغون بالماء الجاري بوجود الضياء، ويوحدون ربَّ العالمين ويؤمنون بالأنبياء والرُّسل وما أنزله الله عليهم، وبالعمل الصالح واليوم الآخر... فأصبح الجميع أهل وأخوة يحب بعضهم بعضًا ويحمي بعضهم بعضًا من اللصوص والغُرباء.

* * *

# الحلقة العشرون

# قلعة صالح

ذكرنا في الحلقة السابقة معلومات مختصرة عن حاضرة العمارة، وكيف استوطن بها الصابئة المندائيون... والآن نذكر شيئًا سريعًا وبسيطًا عن الأقضية والنواحي التي أنشئت على حافات المياه البهية حيث المياه الوفيرة والضياء الساطع، الحياة البرية والمائية الغنية التي سكنها الصابئة المندائيون ولهم فيها ذكريات جميلة وممتلكات... ومنها قلعة صالح، المجر الكبير والصغير، الحلفاية (المشرح)، مسعيدة، الطَويل، وغيرها، لأنها بالحقيقة والواقع كثيرة، ولهذا سنركِّز على المُدن المهمة حصرًا.

١. قلعة صالح:

أنشئت في عام ١٨٨٤م، وسُميت في البداية شطرة العمارة تمييزًا لها عن شطرة الناصرية، ثم سُميت قلعة صالح نسبةً إلى مُنشئها صالح سليمان النجدي الذي حارب العشائر التي امتنعت عن دفع الرسوم إلى الدولة العثمانية، وأنشئت الچلعة كما يحب أن يسمِّيها أهلها في الموقع الذي عسكر فيه صالح مع قواته، وهو الذي أشرف على إسكان الناس على ضفتي نهر الكرمة الذي يربط دجلة بنهر المجرية.

ومع الوقت تم إعمار الجانب الأيسر من دجلة وربطه بالجانب الأيمن بجسر عائم، وتوسعت بعد أن أُنجز بناء الكثير من البيوت وسوق كبير يضم البقالين والعطارين وأصحاب الحِرف من حدادين ونجارين وصاغة، ونزح إليها بعد ذلك كثير من الناس من مرقدي عبد الله بن علي والعزير، وعدد من أبناء العشائر من القُرى المجاورة، حتى أصبحت قضاءً تابعًا إلى حاضرة العمارة.

وعمومًا كان سُكَّانها خليطًا من الإخوة المسلمين واليهود والصابئة، يعيشون

سويًا كمواطنين متحابين متعاونين، لا يفرِّق بينهم دين أو مال ولا فكر أو قومية... وقد ساعد الصابئة المندائيون كثيرًا في بناء وإعمار هذا القضاء مع إخوانهم باعتبارهم أرباب حِرف، وكانت القلعة زاهية بأهلها وبساتينها وخيراتها الوفيرة من المياه العذبة وأنواع الأسماك والطيور والحيوانات الداجنة إذ كان لا يخلو بيت من بقرة حلوب وعددًا كافٍ من الدجاج والطيور وأنواع ممتازة من النخيل المحملة بعثوق التمور مثل البرحي والبريم والخضراوي والمكتوم، وغيرها... والقضاء عمومًا يتكون من المحلات التالية:

- محلة الصابئة: في الجانب الأيسر من نهر دجلة والذي يُسَّمى اللطلاطة والتي أقاموا فيها مناديهم (معابدهم)، وفي الحقيقة كان للصابئة المندائيين محلتان هما محلة الصابئة ومحلة اللطلاطة.
- محلة السليمانية: وكان أغلب سُكانها من اليهود.
- محلة الغربية: على الجانب الأيسر من نهر الكرمة.
- محلة الحسينية: على الجانب الأيمن من نهر الكرمة الدارس.

وتضم قلعة صالح عددًا من العشائر العراقية مثل: بنو مالك والسراي وعبادة، إضافة إلى الصابئة المندائيين واليهود... كان الجميع يعيشون بسلام وأمان، وفي فصل الصيف عند المساء تجد الشاطئ وقد فُرِش بالسجاد ووسائد الصوف المزركشة والملونة بالألوان الزاهية التي يطغي عليها اللون الأحمر تحت أشجار الصفصاف، إذ يتجمع الرُّواد لشُرب القهوة ومناقشة أحداث الساعة وتجاذب أطراف الحديث وسماع أحلى الحكايات من القصخون... أهلها وشبابها يتذكرون جيدًا بناية المندي المطل على نهر دجلة، ويتذكرون شجرة السدر العملاقة ونبقها الشهي وأشجار الرمان وورد الجوري وكوخ الشخنته الذي يتوسط ساحة المندي.

وفي عام ١٩١٧م أُنشئتْ مدرسة قلعة صالح كأول مدرسة فيها، بسبب وجود الحامية البريطانية ومقر الحاكم العسكري الإنكليزي النقيب هجكوك الذي

كان يجيد اللغة العربية بطلاقة وألَّف كتاب "عرب الأهوار"... والغريب أن معظم طلاب المدرسة كانوا من أبناء الصابئة المندائيين بتشجيع من أهاليهم.

لقد تخرَّج من مدارس هذا القضاء أعدادٌ من المعلمين الأوائل والعلماء والمهندسين والأطباء والضباط الأوائل؛ وفي مقدمتهم العالم الفيزيائي عبد الجبار عبدالله ذائع الصيت، فمن لا يتذكر الذين عاشوا في قلعة صالح هذه المدينة الساحرة على ضفاف دجلة الخير، والتي كُتبتْ فيها أولى صفحات التاريخ البشري كامتداد للحضارة السومرية والأكدية والبابلية.

* * *

# الحلقة الحادية والعشرون

## المشرح (الحلفاية)

ذكرنا أن جوهر الحياة عند الصابئة المندائيين: الماء والضياء، ولهذا مناطق سكناهم دائمًا تكون قرب المياه الجارية وتحت ضياء الشمس البهيجة، ولهذا تركّز سكنهم وحياتهم في مناطق المياه البهية (الأهوار) في جنوب العراق وفي النواحي والأقضية التي أُنشئت على حافات المياه وضفاف دجلة والفرات والكارون والكرخة ونهر الدز... ومن هذه النواحي المعروفة "الحلفاية" واسمها الرسمي "المشرح" لكونها تقع على نهر المشرح أحد فروع نهر دجلة.

كان اسمها الحلفاية نسبة إلى نبات الحلفا الكثير في هذه المنطقة، وكانت في بدايتها قرية تابعة لقضاء دويريج الذي يقع على نهر بهذا الاسم ينبع من إيران، وبعد الاحتلال البريطاني تحولت في عام ١٩٢٠م إلى ناحية الحلفاية، وفي عام ١٩٢٤م سُمِّيت رسميًا ناحية المشرح الذي اشتق من كثرة الشروح (الفروع) في هذا النهر المار بها والذي هو أصلاً شرح من دجلة ويصب في هور الحويزة والسناف.

سكن الصابئة المندائيون مع أخوتهم المسلمين في هذا المكان الخصيب حيث الماء والضياء ووفرة الخيرات مع عشائر عربية أصيلة كالسواعد وچنانة وبني لام وكعب والكَورجة وال بزون... وغيرهم.

كان للصابئة محلة تسمى باسمهم تمتد على الجانب الأيسر من النهر لغاية نهر الچادل المتفرع من المشرح وفي أيام الصيف تفرش على حافة النهر البسط الملونة والوسائد المزركشة ويجلس الناس لشرب القهوة وسماع السوالف الحلوة فيها حكمة وملحة، وأمامهم زوارق الصيد وسفن التجارة الصغيرة لنقل البضائع بين العراق وإيران، وتنتشر على ضفاف النهر ورش صناعة الإبلام التي يجيد صناعتها بمهارة عالية الصابئة، مثلما اشتهروا بصنع

أدوات الصيد والزراعة، لأن سكنة المشرح اشتهروا بزراعة الشلب لكثرة المياه والطمي وبصيد الأسماك الوفيرة، فما اجمل الليلِ وزوارق الصيد والفانوس والفالة، وما اجمل غابات النخيل وهي محملة بالعثوق الذهبية لأنواع فاخرة من التمور، وفي بداية الناحية انشأ سوق كبير يضم البقالين والعطارين والقماشين وارباب الحرف ويرتبط بالجانب الاخر بجسر بسيط حيث يوجد الكَراج لنقل المسافرين إلى مركز مدينة العمارة.

لا يخلو بيت من بيوت الصابئة من بقرة حلوب أو عدة بقرات وعدد كبير من الدجاج والطيور الداجنة يستفيدون من بيضها ولحمها.

يوم الاحد من الأيام المميزة عندهم فتراهم عند ضفة النهر يرشمون ويبرخون (يتوضؤون ويصلون) في الماء الجاري وضياء النهار، وكأنه يوم عيد عندهم فتجد حتى الطلاب والمعلمين والموظفين قد تجمعوا فرحين مستبشرين كأخوة وأصدقاء وأحباب يساعد بعضهم بعضًا، إذ توجد في الناحية مدرستين ابتدائيتين وحدة للأولاد والثانية للبنات وقد تخرج من هذه المدارس اعداد كبيرة نسبيًا من المعلمين والمدرسين والأطباء والمهندسين الذين أكملوا دراستهم في العمارة والبصرة.

* * *

# الحلقة الثانية والعشرون

# سوق الشيوخ

سنخصص هذه الحلقة والتي تليها لسوق الشيوخ لأهميتها ولأنها من أقضية حاضرة الناصرية المتميزة، ولأنها فرع مهم أخضر نما من جذور أريدو وسومر وأور ولكش وكيش وأورق وأزهر، فأثمر للوطن عباقرة وأساتذة وأطباء ومهندسين وفنانين وضباط ومناضلين... ونستمر بعدها بعدد محدود من الحلقات لنعطي لكل ناحية وقضاء حقها كأماكن تجمع تراثية لكي لا ننسى جذورنا ورموزنا.

سوق الشيوخ: هذه الجزيرة التي تحيطها مياه نهر الفرات ومياه حافات المياه البهية التي تغفو عليها، وهذه المدينة الجميلة تقع ضمن رقعة أول وأعظم حضارة عرفتها الإنسانية أشرق ضياؤها على البشرية إذ لا تبعد عن أور إلا بضع كيلومترات قليلة، وهذا الوريق الأخضر المشرق جذره سومري أصيل نما بتوفر المياه الجارية العذبة وبضوء شمس ذهبية مشرقة أهَّلته لاختراع الكتابة وتدوير الدولاب وكتابة القوانين والأنظمة ونظم الري والزراعة وتأسيس الجيوش والعلم العسكري.

من هنا علينا أن نعرف لماذا تتعرض بلادنا للغزوات؟.

سوق الشيوخ هذا القضاء وريث الحضارات بهذه الإمكانات البسيطة ينتج علماء وأدباء وفنانين ومناضلين أشداء، ويؤسِّس أحزابًا أيدلوجية عميقة وقوية وتمتد قوته وعظمته من ماضيه العريق حيث الحضارة المزدهرة والجيوش الجرارة والفتوحات الواسعة شرقًا وغربًا، فعليه يجب تقييد حركتها ومنع نهوضها لأنها سريعة النمو والعنفوان، ولأنها كالفيضان الجارف يتعاظم مع الوقت، لأنها تملك جينات العبقرية التي كمنت كل هذه السنين، وعليه

يجب أن لا يتحرر هذا المارد الجبار كما تحرر تنين الصين... هكذا هي شعوب الحضارات ما أسرع نموها وقوة اندفاعها، حتى أصبحت الصين بسنين قليلة ندًّا لأعظم دولة في العالم أمريكا، فبريطانيا العظمى بنت قاعدتها الصناعية خلال مائتي سنة، وأمريكا بنتها خلال ثمانين سنة وروسيا في أربعين سنة، بينما الصين بنتها في عشرين سنة، ولهذا حسبت الحسابات للعراق وشعب العراق عندما حاول النهوض من كبوته، ولكن مع الأسف تكالبت عليه قوى الشر من الداخل والخارج... ديكتاتورية بغيضة وغزو إمبريالي حقود خلَّف لنا دمارًا وتخلفًا وفرقة مذهبية ودينية وقومية مدمرة... فمتى ينهض هذا المارد مستثمرًا إمكانات العرب البشرية والمادية والموقع الجغرافي والإرث الحضاري، ليعيد بناء الحضارة بالتوازي مع تنين الصين؟

أملنا عظيم في التغيير بعزيمة الشباب الثائر، فالعراقيون خُلِقوا قادةً مبدعين.

* * *

# الحلقة الثالثة والعشرون
# تكملة حلقة سوق الشيوخ

ذكرنا أن الصابئة المندائيين دائمًا يختارون مناطق سُكناهم قُرب المياه الجارية وتحت أشعة الشمس المشرقة، لإيمانهم أن الماء والضياء هما جوهرتا الحياة... ولهذا اختاروا مدينة سوق الشيوخ على الضفة الشرقية لنهر الفرات وعلى قُرب من حافة هور الحمار الواسع، حيث المياه الجارية العذبة والأرض الخصبة والضياء المشع أمل الخصب والنماء والحياة والإيمان.

وتتكون هذه المدينة من ست محلات معروفة (النجادة، الحويزة، الحضر، البغادة، الإسماعيلية، الصابئة). سنركز على محلة الصابئة المندائيين التي تقع على الجانب الأيسر من الفرات والتي تعتبر من أقدم المحلات... إذ يذكر لنا بعض الباحثين أنها أنشئت في منتصف القرن الثالث عشر، إذ هاجر لها الصابئة المندائيون من أعماق الأهوار بعد أن انحسرت المياه الجارية وساد جو الأمان والطمأنينة بين القرى والقصبات في هذه البقعة من الأرض... فعزَّز هذا التواجد بتجمع سكنة أهل البطائح من القرى والقصبات المجاورة، وهاجر لها أقوام من الأحواز ومن أطراف بغداد لتوفر الماء والشمس المشرقة التي يحتاجها المندائيون لإجراء طقوسهم الدينية، وكذلك لخصوبة التربة وتوفر الغذاء من الأسماك والطيور وتربية الحيوانات الداجنة، أضف لذلك حاجة المزارعين والصيادين لصناعاتهم الحِرفية في الحدادة والنجارة وصناعة الزوارق بأنواعها، وحاجة شيوخ العشائر ونسائهم إلى الحلي الذهبية والفضية التي برعوا في صياغتها.

سوق الشيوخ هذه المدينة ولادة بالمبدعين والعباقرة في مجالات كثيرة، منها الشعر والغناء والطرب، فمن لا يتذكر من القدماء المغني فديعم وعمارة وزيدان ومزعل وجعاز وطور الصبي وطور عنيسي.

سوق الشيوخ... تغفو تحتها مُدن أثرية كثيرة لم يجري التنقيب عنها إلى الآن موزَّعة بين سوق الشيوخ والعكيكة وهور الحمار... والتل الذي يتوسطها خير شاهد أركولوجي. هذا غير المدن التي غمرتها المياه مثل قصر خيبر العظيم وغيرها.

إن الاسم التاريخي الأول لهذه المدينة سوق مارو أو سوق ماروس ويعني بالسومرية سوق الحكيم. ثم تغيَّر في العصر الحديث إلى سوق النواشي نسبةً إلى عشيرة النواشي... وفي زمن شيوخ آل السعدون وتباهيًا بهم سمَّوها سوق الشيوخ، سكنتها جالية يهودية في محلة النجادة وأنشأوا فيها كنيست، ومن الشخصيات اليهودية المشهورة إلياهو يعقوب القماش.

تعتبر هذه المدينة مدينة علم وأدب وشعر وثقافة وفن، كذلك هي مدينة سياسية بامتياز تأسَّست فيها معظم الأحزاب الأيدلوجية المهمة، وأنجبت العديد من القادة السياسيين البارزين.

لقد اشتهرت سوق الشيوخ بدواوينها ومضائفها ومطرييها ذوي الأصوات الشجية... كل هذا بالرغم من أن الكهرباء أنارت المدينة عام ١٩٤٦م، والماء الصافي دخل بيوتها عام ١٩٦٤م... ومع هذا كان عدد من أبنائها يسافرون إلى المدن المجاورة طلبًا للرزق الحلال، ويعودون في الأعياد محملين بالهدايا وبخرجية العيد.

لقد تعرضت هذه المدينة خلال تاريخها الطويل هذا إلى عدة كوارث بيئية مثل الكوليرا والملاريا، وإلى فيضانات نهر الفرات المتكررة.

* * *

# الحلقة الرابعة والعشرون

## طيب ماثة

الطيب مدينة صغيرة تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة العمارة (مي شان)، إذ يُذكر أنه في عام ٧٠م حدثت في أورشليم مذبحة بين اليهود والصابئة المندائيين راح ضحيتها أعداد غفيرة من الصابئة، وقُتل جميع رجال الدين البالغ عددهم أكثر من ٣٦٠ رجل دين، فاضطر الباقون إمَّا الهرب إلى الجبال والكهوف القريبة، أو التهود، أو الهروب إلى مدينة حران، حيث وجدوا لهم هناك أخوة في الدين رحبَّوا بهم وساعدوهم، ولكن بعد حين بعد أن شاهدوا أن هناك أقوامًا تسكن في مدينة حران تهتم بالأبراج ودراسة حركة الكواكب؛ قرروا الرحيل، فانحدروا جنوبًا إلى بلاد ما بين النهرين واستقروا في منطقة الطيب التي سمَّوها طيب ماثة أو حران كويثا بمعنى حران السُّفلى تيمنًا باسم مدينة حران التي احتموا بها خلال بداية هجرتهم.

هناك بحوث كثيرة تذكر لنا هذه الهجرة ودلائل كثيرة تدل على تواجد الصابئة المندائيين في هذه الأرض المباركة، ومنها كتاب حران كويثا، وكثير من الرقم الطينية والقحوف والنقود التي تحمل كتابات مندائية وألواحًا كثيرة من الرصاص نُقش عليها بوث (تسابيح) من كتاب الكنزا ربا المقدس.

ويذكر لنا كتاب حران كويثا، أنه بعد الفتوحات الإسلامية لبلاد ما بين النهرين كان هناك وجود كبير للصابئة المندائيين في هذه البلاد، وكانت اللغة والثقافة الآرامية واسعة الانتشار آنذاك... ولهذا شكَّل الصابئة المندائيين وفدًا كبيرًا برئاسة رجل دين بدرجة رئيس أمة اسمه أنش دنقا وقابلوا القائد سعد بن أبي وقاص، وشرحوا له دينهم وكتابهم وأثبتوا له بالدليل القاطع أنهم من الموحِّدين فأقرهم على الجزية لأن القرآن الكريم ذكرهم في ثلاث آيات بينات في سورة البقرة والمائدة والحج أنهم من الموحِّدين بالله كالمسلمين واليهود والنصارى.

ومن هذه المدينة الطيبة الغنية بمائها وشمسها وخصوبتها نزح لاحقًا عدد من أهاليها ليستقروا في مدينة العمارة عند انشائها عام ١٨٦١م...

وحاليًا الطيب من المناطق الغنية لأنها تطفو على بحيرة من النفط، ولو قامت مديرية الآثار بالتنقيب لعثرت على الكثير من الآثار المدفونة تحت هذه الأرض المعطاء.

* * *

# الحلقة الخامسة والعشرون

# نشوء الأرض

نورد مقالاً متميزًا للأستاذ فاضل فرج المتخصص في علم الأحياء، عن نشوء الأرض، جاء فيه

**مؤهلات أرضنا التي قادت لنشوء الأرض**

في الأسابيع القليلة الماضية أعلنت وكالة الطيران والفضاء الأمريكية (ناسا) عن اكتشاف علمائها لنظام شمسي جديد تابع إلى مجرة "درب التبانة" ويبعد عن أرضنا نحو ٤٠ سنة ضوئية. ويتألف هذا النظام من سبعة كواكب معظمها ذات حجم مماثل إلى حجم أرضنا وصخرية القوام، وهذه الكواكب السبعة تدور حول نجم قزمي تكبره شمسنا بألف مرة حجمًا، لكنه أبرد منها.

وللتعرف على إمكانية نشوء حياة تحاكي حياة أرضنا؛ حيث الماء والضياء؛ في تلك الكواكب الصخرية المكتشفة، فأننا يجب قبل كل شيء أن نبحث في العوامل والإمكانيات المتوفرة في أرضنا والتي ساعدتها على نشوء واستمرارية الحياة فيها، ويأتي في مقدمة تلك العوامل هو امتلاك كوكبنا لمواصفات وخصائص فيزيائية وكيميائية معينة، منها مثلاً وجود غلاف غازي يحيط بأرضنا يدرأ عنها مخاطر الأشعة الكونية المؤينة، بالإضافة إلى أن كثافته نشأ عنها الضغط الجوي وتأثيراته المناخية والحيوية. وكذلك تمتلك أرضنا درجات حرارة معينة في كثير من مناطقها تُبقي الماء سائلاً في جميع فصول السنة، ولِمَ لهذه السيولة من أهمية في استمرار الحياة وغير ذلك من الخصائص الفيزيائية كالجاذبية الأرضية مثلاً. بالإضافة إلى ذلك فإن كتلة الحديد والنيكل (المنصهر والصلب) اللذين تتشكَّل منهما نواة الأرض قد قاد ذلك إلى نشوء

حقل مغناطيسي كبير وعالٍ يحيط أيضًا بالأرض إحاطة تامة يحميها ويحافظ عليها من الأشعة المؤينة.

أمَّا العوامل الكيميائية للأرض فيأتي في أولها قابلية العناصر الكيميائية الأرضية على التفاعل مع بعضها البعض عن طريق فقدان أو اكتساب الإلكترونات، مما يؤدي إلى تكوين مركبات جديدة تقوم بإمداد الحياة بمادة جديدة للنمو والبناء، وكذلك بإمدادها بالطاقة، فالحياة على الأرض محورها الأساس هو الكربون الذي في خط سيره يمد الحياة بالمادة والطاقة معًا حيث أن لهذا العنصر من الخصائص التي قد لا تتوفر لغيره، ومنها قدرته على الاتحاد مع الهيدروجين عن طريق الأواصر الكيميائية أو التساهمية لتكوين مركبات ذات وزن جزيئي مرتفع باتحادهما مع الأوكسجين والنتروجين وعناصر أخرى، لتصبح هذه المركبات قادرة على تجهيز الطاقة والمادة معًا حيث هما عماد الحياة في الأرض، إضافة إلى امتلاك الكربون لخصائص أخرى أهمها أنه عند أكسدته يتحول إلى غاز يسهل التخلص منه.

إن الهيدروكوربونات الناتجة من اتحادهما ومنها (الكانات) والتي تجمعت سلاسل منها مكونة الامفيفالات (مواد مُحبة للزيت والماء) ونتيجة لتصادم الموجات البحرية أدَّى إلى انتظام تلك الامفيفالات بشكل حويصلات كانت الأساس في نشوء الحياة.

بالإضافة إلى كل ما تقدَّم فإن أرضنا على بُعد مناسب من الشمس التي هي مصدر الطاقة، بالإضافة إلى الخصائص الفيزيائية لشمسنا من العوامل المهمة في نشوء الحياة على كوكبنا، فإذا أردنا التعرُف على وجود حياة في كوكب آخر فيجب على المختصين الأخذ بنظر الاعتبار كل العوامل التي ذُكِرت وغيرها، فأرضنا احتاجت لما يقارب نصف مليار من السنين وبمواصفات فيزيائية وكيميائية خاصة حتى تنشأ عليها البدايات الأولى لحياة بدائية... ولا أنسى هنا إن أُشير إلى أنه لولا ظهور الأوكسجين كغاز مستقل كوَّن مع غازات أخرى الهواء الجوي حيث ظهر على سطح الأرض عقب تكونها بحوالي مليارين

من السنين، ويرجع سبب تكونه إلى أنه ناتج عرضي نشأ من عملية البناء الضوئي التي كانت تقوم بها البكتريا من نوع سيانو بكتيريا، حيث بقيت لمدة تقارب ٥٠٠ مليون سنة بتحريره إلى الهواء الجوي فأصبح بنسبته المعروفة. لقد قاد وجود الأوكسجين في الهواء الجوي إلى تطور عملية تحرير الطاقة الكاملة من الغذاء، مما سهَّل ذلك تعقيد الحياة العضوية وبداية تطورها إلى الكائنات الأكثر تعقيدًا، فلولا الأوكسجين واستعماله في التنفس لما ظهرت الحشرات والأسماك وباقي الفقريات.

* * *

# الحلقة السادسة والعشرون
# وجود حياة أخرى على كوكب غير الأرض

مازال العلماء يبحثون علميًا وعمليًا عن وجود حياة أخرى على كوكب آخر في مجموعة شمسية أخرى؛ ربما في نفس مجرتنا درب التبانة؛ فيه مقومات الحياة من ماء وضياء وأوكسجين وغازات مكملة ومعادن وكل ما تحتاجه الحياة... أمَّا دينيًا فكل الكتب المقدسة تؤكد وجود حياة في عوالم أخرى، وإلا ما معنى الجنة والنار، وما معنى الملائكة وأين يعيشون؟... ولا نريد أن نستشهد بعدد من الآيات أو الإصحاحات وغيرها لان البحث سيطول في الأمور الغيبية والتي يؤمن بها الكثيرون ويعتبرونها حقائق غير قابلة للبحث والنقاش، وقد سبق وذكرنا أن الإيمان في القلب، والعلم في العقل، وعلينا ان نفصل بينهما، إذ من بالغ الصعوبة أن يُناقش المقدَّس في كل الأديان وفِي كل العصور السابقة، وهذا سر تخلف البحوث في هذا المجال، والله يأمرنا بالبحث والتأمل والعلم مع الإيمان والأخلاق الحميدة.

عندما سئل أحد علماء الباحثين في هذا المجال: أليس غريبًا أنكم تتحدثون عن وجود حياة خارج الأرض في الكون؟ فأجاب على الفور: إن الغريب ألا نتحدث عن وجود مخلوقات في الكون، لأننا لسنا الوحيدين في هذا العالم.

إن أعظم الاكتشافات تبدأ بفكرة بسيطة يحسُ بها الإنسان ويبحث عنها ثم يكتشف الحقيقة العلمية. ومنذ صعود الإنسان إلى الفضاء الخارجي يحاول جاهدًا اكتشاف حياة جديدة على كوكب غير الأرض، حتى أن علماء الفلك اليوم يؤكدون وجود هذه الحياة، فلدينا في الكون أكثر من عشرة آلاف مليون مليون مليون نجم! هذه النجوم منها ما هو بحجم الشمس ومنها ما هو أكبر من الشمس وما هو أصغر منها. فاحتمال وجود مجموعات شمسية كشمسنا هو احتمال كبير وكبير جدًا أمام هذا العدد الضخم من النجوم أو الشموس.

ومع بداية القرن الواحد والعشرين يزداد شيئًا فشيئًا اعتقاد العلماء بوجود حياة خارج الأرض في الفضاء، فتراهم يرسلون المراكب الفضائية محاولة منهم لكشف أي آثار للحياة في هذا الكون الواسع. ومن أخر الرحلات رحلة باتجاه كوكب المريخ تكلفت أكثر من ٨٠٠ مليون دولار! فلماذا هذا المبلغ الضخم؟ وما الفائدة من هذه المحاولات؟

لقد بدأ العلماء منذ السبعينات من القرن العشرين بمحاولات للاتصال مع الفضاء الخارجي من خلال بث رسائل تتضمن معلومات عن كوكب الأرض. ثم تطورت المحاولات في التسعينات من القرن العشرين من خلال ابتكار مراصد ضخمة يتم زرعها في الفضاء الخارجي لرصد الكواكب الشبيهة بالأرض.

إن مسألة وجود كواكب تدور حول نجوم أصبحت شبه حقيقة وذلك بعدما أمكن تطوير أجهزة الرصد الفضائي، وأصبحت مسألة كشف حياة وكائنات حيَّة على كواكب أخرى مسألة وقت، ولولا تأكد العلماء وإحساسهم القوي بوجود مخلوقات أخرى في الكون لما عملوا بجدّ. ويقول العالم الفذ ستيفن هوكينج أستاذ الرياضيات فى جامعة كامبريدج فى أبريل ٢٠١٠ بأن الأرض مُعرَّضة لخطر الغزو من مخلوقات فضائية، ويقول هوكينج إنه في ضوء وجود أكثر من ١٠٠ مليار مجرة، في كل مجرة مئات ملايين النجوم، من غير المحتمل أن يكون كوكب الأرض هو الكوكب الوحيد الذي توجد عليه حياة للبحث عن هذه المخلوقات... وهناك من يقول إن كائنات حية متطورة نزلت بأطباق طائرة من كوكب آخر هي التي صنعت الحضارة السومرية والفرعونية مثلاً كنوع من الخيال العلمي، والله أعلم.

ويُعتقد أن القمر يضم محيطًا ضخمًا يحتوي على ضعف كمية المياه الموجودة في محيطات الأرض الكامنة تحت طبقة من الجليد شديد البرودة والصلابة غير معروف السماكة. كما تعتقد وكالة ناسا أنها وجدت أدلة على انفجار أعمدة بخار الماء على سطح قمر المشترى، فهل يمكن أن تحتوي هذه الأعمدة على آثار للحياة تتيح للعلماء حل لغز الفضاء هذا؟ هذا ما ستكشف

عنه الأبحاث في هذا المجال.

أمَّا عن المريخ وما ينتشر عنه بشأن حياة قديمة كانت به وربما مازالت، فإن الكوكب الأحمر يشبه الأرض قليلاً ويُعتقد أنه تمَّت تغطيته بالماء في مرحلة ما من تاريخه القديم. ويدَّعي البعض أنهم رصدوا كل أنواع الأشياء الغريبة على المريخ، ولكن العلماء ليسوا أقرب إلى اكتشاف ما إذا كان الكوكب الأحمر هو في الحقيقة كوكب ميت، أم كان يدعم الحياة ذات يوم. ويعتقد العلماء أن المريخ قد تم تجميده منذ ما يقرب من ٣,٨ مليار عام قبل أن تتسبب فترات الاحترار فى ذوبان السطح وإنشاء أودية عميقة، وكذلك أن تراكم غازات الدفيئة في أجواء المريخ الكثيفة قد أثار دورات مناخية صعبة. كما يعتقد العلماء أن هذا يمكن أن يكون سبب امتلاك الكوكب لمعالم منحوتة بالماء، فيما توفر المياه الظروف اللازمة للحياة، لذلك يمكن أن يكون هناك كائنات حية على كوكب المريخ منذ مليارات السنين، مع ذلك تم القضاء عليها بسبب تغير المناخ.

وهناك ثلاث طرق تكشف لنا عن وجود حياة خارج كوكب الأرض:

أولاً: إرسال المركبات الفضائية إلى الكواكب والأقمار.

ثانيًا: دراسة الغلاف الجوي لكواكب خارج مجموعتنا الشمسية.

ثالثًا: برنامج البحث عن ذكاء خارج الأرض.

كل ذلك نظريات واعتقادات للعلماء ويحاولون التقرب منها مستقبلاً تساعدهم في ذلك الحسابات الرياضية والمسبارات والتقدم العلمي الهائل في غزو الفضاء. ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

* * *

(١) سورة الرحمن: الآية ٣٣

# الحلقة السابعة والعشرون

## الدموثة (المثيل السني)

ذكرنا في نهاية الحلقة الخامسة عشر مصطلح الدموثة، وتعني المثيل أو الشبيه أو النظير، إذن ماذا يعني الدموثة (المثيل) في فِكر الدين الصابئي المندائي ؟

تقول الميثولوجيا المندائية أن هناك نخلة (سندركا) باسقة على حافة عين ماء نقية جارية (آينا) نضجت ثمار عثوقها فسقطت تمرة في عين الماء ولقَّحتها باعتبارها أنثى ونواة التمرة ذكر، فولدت هذه العين كيانًا اسمه آدم كسيا (آدم الخفي) مثيلاً إلى آدم المادي (آدم بغرة)، بمعنى أنه عندما صُنِع جسد آدم من الطين الأحمر والدم والمرارة وأسرار الكون؛ أُخذتَ له نشماثا (نفس) من آدم كسيا الدموثة، لتدبَّ فيه الحياة، بمعنى أن الحياة بدأت بالماء وبمساعدة ملاك نوراني (ضياء) نقل هذه النفس من هذا المثيل إلى جسد آدم ليحيا... هذه هي الحكاية الروحانية باختصار شديد.

وعمومًا فإن الإنسان يتكون من ثلاثة عناصر رئيسية هي: الجسد الذي جُبِلَ من تراب وإلى التراب يعود، ومن نفس قبسٌ من الحيِّ العظيم (الله الحيُّ القيوم) نقية طاهرة لا تُحاسب ولا تموت، وروح هي مجمل الفعاليات التي يقوم بها الإنسان من المهدِ إلى اللحدِ خيرًا أو شرًا، تُحاسب عليها بعد الموت في محطات الحساب.

والمثيل السني هذا يعيش في منطقة تُسمَّى مشوني كشطا (عالم الحق) يقع بين عالم الأنوار وعالمنا الأرضي، لكي لا يكون هناك اتصال مباشر بين هذين العالمين.

* * *

# الحلقة الثامنة والعشرون

# تجليات الخالق سبحانه

# (أكا هيي، أكا ماري، أكا منادهيي)

الصابئة المندائيون يردِّدون دائمًا عبارة: (أكا هيي، أكا ماري، أكا منادهيي).

وهذه الجُمل الثلاث عبارة عن جُملة واحدة لأنها تعطي نفس المعنى وتشير لنفس الاسم؛ اسم الجلالة الله الحيّ القيوم، أو كما يحب الصابئة المندائيون تسميته الحيّ العظيم، ولا عظيم إلا الله.

فكلمة هيي تعني الحيّ الذي لا يموت، لأنه الحياة كلها، ولأنه أبدي ليس له بداية، وسرمدي ليس له نهاية، رب العوالم كلها العُليا والوسطى والسُّفلى... والصابئي المندائي يتباهى بافتتاحية كتابه المقدس الكنزا ربا حين يردِّد مع نفسه أو بصوت مسموع:

باسم الحيّ العظيم
أسبِّحكُ ربي بقلبٍ طاهر
المتميز عن عوالمِ النور
الغني عن كلِ شيء
العلي فوق كلِ شيء
نسألكَ الشفاءَ والظفرَ
وهدايةَ السمع واللسان
ونسألُكَ الرحمةَ والغفران
آمين
يا ربَّنا... يا ربَّ العالمين

والمعنى واضح ومفهوم لكل ذي بصيرة

أمَّا جُملة (أكا ماري) فتعني أنه ربُّ العظمة موجود، فليس هناك أعظم من الله، فهو ملك النور السامي، هو اللهُ الحيُّ القيوم، منه كان الملائكة والأثريون.

ثم يأتي التأكيد الثالث بنفس المعنى (أكا منداهيي)... موجود العارف بكل شيء، موجود عارف الحياة لأنه هو من أنشأها، لأن بقوله كان كل شيء.

ولهذا عندما نقول (أكا هيي، أكا ماري، أكا منداهيي)، كأننا نكرِّر ذكر الله ثلاث مرات متتالية: موجود الحي، موجود الحي، موجود الحي، وذلك للتأكيد على ذكر الله، مثلما يذكر إخواننا المسلمين في الأذان جُملة: الله وأكبر، الله أكبر، الله أكبر، ويكرِّرونها أربع مرات متتالية.

الصابئة المندائيون يردِّدون: أكا هيي، أكا ماري، أكا منداهيي، لأن الكتاب المقدس الكنزا ربا يذكر أنه في أيام البروناية البيضاء (البنجة) تمَّ خلق العالم العلوي (عالم الأنوار) بعد أن انبعث الحيُّ العظيم من ذاته (من نافشي أفرش) وهذا الانبعاث تجلَّى وِفق التسلسل التالي:

في اليوم الأول تجلَّى الحيُّ العظيم بهيئة ملك النور السامي؛ نور لا ظلمة فيه، لا حدَّ لبهائه، ولا مدى لضيائه، المنتشرة قوته، العظيمة قدرته... هو العظيم الذي لا يُرى ولا يُحد، لا شريك له في سلطانهِ، ولا صاحبَ له في صولجانهِ، من يتوكل عليه فلن يخيب، ومن يسبِّح باسمهِ فلن يستريب، ومن يسأله فهو السميع المجيب، ما كان لأنه ما كان، ولا يكون لأنه لا يكون.

في اليوم الثاني تجلَّى بهيئة ماري دربوثا اليثا، بمعنى رب العظمة، العظيم العالي المتعالي، خالدٌ فوق كل الأكوان، لا موتَ يدنو مِنه ولا بطلان، وأمامه الملائكة ماثلون، بأضويتهم يتألقون، ساجدين خاشعين شاكرين مسبِّحين.

وفي اليوم الثالث تجلَّى بهيئة منادتهي، أي عارف الحياة، التي هو أنشأها لكونه هو الجلال والإتقان وربُّ أكوان النور جميعًا.

وفي اليوم الرابع تجلَّى بهيئة الحق الكامل، لأنه العدل والأمان، والرأفة

والحنان، الأول منذ الأزل، خالق كل شيء، والقوة التي ليس لها مثيل، صانع كل شيء جميل.

وفي اليوم الخامس تفجَّرت الينابيع وتدفقت المياه الجارية العذبة وأُنشئتْ الحياة العُليا في عالم الأنوار.

الحي العظيم (الله) الخالق خلق النشماثا (النفس) وخلق الملائكة النورانيين وطلب منهم أن يُكملوا صناعة العالم... وهناك فرق شاسع بين الخالق والصانع، لأن الخالق يخلق شيئًا غير موجود، أمَّا الصانع فيصنع شيئًا على غِرار شيء موجود.

ولا يجوز لنا أن نسأل مَنْ خلق الخالق؟ أولاً لكونه خالق، فإن قلنا خلقه س؛ إذن فمن خلق س؟ وإذا قلنا ص خلق س؛ إذن من خلق ص؟ وهذه حلقة ليس لها نهاية.

والآن وضح لنا أن أكا هيي، أكا ماري، أكا مناهيي تسمية لشيء واحد هو الحيّ العظيم الله جلّ جلاله.

فإن قلنا أكا هيي تعني الحيّ موجود، وإن قلنا أكا ماري تعني ربّ العظمة موجود، وإن قلنا أكا منادهيي تعني عارف الحياة موجود، ولكن إن قلنا ملكا ماري أو ملكا منادهيي فنعني بهذا القول ذِكر الملاك ماري والملاك منادهيي اللذين خلقهما الله كملائكة نورانيين لهما مكانتهما المتميزة بين الملائكة الأثريين اللذين كلفهما الحيُّ العظيم بإكمال صناعة الدنيا، لأن الحيّ يعلم علم اليقين أنه سيحصل في هذا العالم أثناء صناعته عوز ونقصان، وتجنبًا لهذا العوز والنقصان الذي سيحدث، الحيُّ العظيم تعالى عن هذا العالم، ولهذا نقول: المتميز، العلي، الغريب، الغني عن كل شيء.

وهنا ربّ سائل يسأل: هل كلمة هيي تعني الحيّ العظيم (الله) حصرًا، أم تعني الحياة؟ وكلاهما واحد لأن الحيَّ هو الحياة والحياة أو الحيوات نشأت بأمرٍ من الحيّ، والمعنى يُعرَف خلال قراءة الكنزا ربا من الجُملة، فعندما يقول:

**الحياة الأولى والحياة الثانية والحياة الثالثة، فهذا يعني الحيوات، وعندما يقول: الحياة العُظمى، فتعني الحيَّ العظيم الذي خلق كل شيء، خلق الماء وخلق الضياء، ومنهما خلق الحياة أو الحيوات، ولذلك يعتبر الماء والضياء والحياة حلقات مترابطة.**

* * *

# الحلقة التاسعة والعشرون

# المندائية والغنوصية

ذكرنا في حلقات سابقة أن المندائية أصل الغنوصية وجوهرها، وكلاهما يعني المعرفة أو العرفان.

لقد ظهرت كلمة العرفان لتدلَّ على معنى أسمى من المعرفة، يُلقى في القلب على صورة كشف أو إلهام، وكان المتصوفة يميزون بين معرفة تكتشف بالحس أو بالعقل أو بهما معًا؛ وبين معرفة تحصل بالكشف أو العيان.

الغنوصية كانت تعني المعرفة الدينية حصرًا، ويعتبر رُوادها أنها أسمى وأرقى من معرفة المؤمنين وأرقى من معرفة علماء الدين الذين يعتمدون النظر العقلي. ولهذا فإن الغنوصية هي التيارات الدينية التي تقوم على تعميق الحياة الروحية التي تنتج القدرة على استخدام الإرادة في الفكر الغنوصي بدلاً من العقل... وهذا الاختلاف واضح بين الغنوصية والمندائية التي تركز على العقل في معرفة الخالق اضافة إلى الإرادة الروحية المكملة للحالة العقلانية.

إن الله (الحي العظيم) ملك النور السامي، خلق النفوس وخلق الملائكة الأثريين، وكلَّف الملائكة بصناعة العالم وكل الأمور الأخرى والتي قد ينالها العوز والنقصان.

حتى الإنسان خُلِق من جسم مادي غير طاهر، لأنه يتسخ ويمرض ويتوجع ويموت، ومن نفس (نشماثا) طاهرة نقية لا تشوبها شائبة لأنها هِبة من الحي العظيم... إن القِلة من التُّقاة الحُكماء وحدهم تصعد أنفسهم بعد الممات إلى عالم الأنوار ليحيوا حياة ثانية أبدية، أمَّا النفوس التي ارتكبت أرواحها أعمالاً شريرة فمصيرها جهنم.

إذن الغنوصية مثل الهرمسية تؤمن بوجود إلهين: إله متعالٍ سامي لا يمكن

وصفه ولا تدركه العقول والأبصار، إله سلبي لا يهتم بشؤون الكون لأن الكون بنظره ناقص فيه عوز ونقصان، وهو منزَّه لا علاقة له بأي عوز ونقصان، لذلك لا يمكن إدراكه بالعقل والحواس... وإله صانع هو الذي صنع العالم، ولذلك فهو يتجلَّى ويمكن إدراكه بتأمل الكون ونظامه... وأن كل شيء يتم بأمرٍ من الإله المتعالي السامي الذي لا يمكن إدراكه، وهو موجود في كل مكان. وإدراكه ومعرفته تتم عن طريق النفس وليس العقل كما يؤكد الغنوصيون... وأن النفس أصلها من عالم الأنوار وستعود إليه بعد تحررها من الجسد... وهذا الرأي فيما يخص النفس يؤكده المندائيون.

وتذكر لنا الفلسفة الغنوصية أن النفوس ما هي إلا كائنات نزلت من العالم العلوي ارتكبت ذنبًا، فكان عقابها هبوطها إلى الأرض وسجنها في الأجساد... ويبقى السؤال عن كيفية تخليصها من العقاب، فالغنوصية تقول بالمعرفة، كذلك تقول قد تصدأ نفس الإنسان خلال فترة سجنها بالجسد وتلبسها الروح فتفقد طهارتها لأن الروح هي عبارة عن مجمل الفعاليات التي يقوم بها الإنسان من المهدِ إلى اللحدِ، ولكن يمكن صقلها وطهارتها، ومن هنا يتضح الرابط العضوي بين الكيمياء والتصوف في الأفكار الهرمسية.

وهناك من يقول إنه لا يمكن الحصول على المعرفة إلا من عند الله أو من نبي مُرسل، فبمعرفة الإنسان نفسه يعرف الله، وبمعرفة الله يطهر نفسه من الذنوب والمعصيات التي سيُحاسب عليها... ولهذا نلاحظ أن معظم الأديان تملك عوامل مشتركة مع الغنوصية قد تقترب كثيرًا أو تبتعد قليلاً... ورغم أن نبي الله إدريس هو أحد أنبياء الصابئة المندائيين ونزلت عليه عدد من صحف الكنزا ربا كما نزلت على آدم وشيت وسام بن نوح ثم على يحيى بن زكريا، ولكننا نجد في تعاليمه أن هناك تقاربًا كبيرًا مع الغنوصية بوجود الله المتعالي ملك النور السامي المُنزَّه والله الصانع.

الفكر المندائي يُؤمِن بوجود الله العلي العظيم الذي خلق كل شيء وبأمره كان كل شيء، خلق الملائكة الأثريين وكلَّف بعضهم؛ بل أمرهم بإجراء بعض

الإجراءات، فنفذوها حسب أوامره وتوجيهاته ولم يخالفوا له أمرًا، هم مسبِّحون ساجدون للحي العظيم... أمر بخلق الإنسان من جسد ونفس وروح (وهنا يوجد اختلاف في التوجه والترجمات بين النفس والروح وإحداهما أحيانًا تأخذ مكان الأخرى كمصطلحات)، فالجسد جُبِلَ من طين (تراب وماء) وإلى التراب يعود، والنفس منحها الحي العظيم للإنسان قبسًا من نور من عالم الأنوار وله تعود لأنها لا تموت، والروح تُحاسَب في محطات الحساب (المطراثي) عن أعمالها من المهد إلى اللحد، وبعد التطهير تصعد إلى المثيل السني (الدموثا) الذي أُخذت منه عند الصيرورة.

(كل ما يصنع بالأيدي يفسد، وكل حي يموت، إن عكازتكم يوم الحساب أعمالكم التي عليها تتوكأون، فانظروا إلى ماذا تستندون)... كنزا ربا.

إن الغنوصية والهرمسية والمندائية فكر عميق يحتاج إلى فهمه معرفة واسعة، مع ضرورة دراسة المذاهب الصوفية وأساس تكونها.

وبإيجاز فإن المندائية تركِّز على نقاء النفس وارتقائها إلى عالم النور اعتمادًا على الأعمال الحسنة، وليس هناك أكسير يقوم بعملية التطهير. إذ ورد في الفكر الهرمسي أنه بالمعرفة يمكن الخلاص، وهذه المعرفة لا تعني العلم؛ بل بذل جهود للخلاص من المادة والاندماج من جديد في العالم الإلهي، لا بل الفناء في الله... أمَّا في مجال العلوم الهرمسية وفي مقدمتها الكيمياء، فبمعرفة كيفية التجاذب والتنافر في المعادن يمكن تحويل الخسيس منها إلى معدن نبيل بواسطة الصنعة والتدبير، والمبدأ المعرفي الذي يحكم هذا النوع من الكيمياء يتلخص بنص هرمس يقول: (ما من طبيعة إلا وهي مجذوبة بطبيعة أخرى، وما من طبيعة إلا وهي مقهورة لطبيعة أخرى، وما من طبيعة إلا وهي تهيمن على طبيعة أخرى)... إذن للحصول على معدن نبيل لابد من تخليصه من الطبائع الدُّنيا، أي من المعادن الخسيسة بواسطة أكسير قادر على التطهير والتحويل... وهذا تشبيه رمزي على نقاء النفوس وطهارتها.

وتبقى الحياة بجوهريها؛ الماء والضياء، فلا حياة بدونهما ولا طهارة بدونهما

ولا تطور للحياة بدونهما، فالحياة بحاجة إلى الماء والضياء لتكون حالة منسجمة مع الكون، وهذه تُسمَّى نظرية الحاجة والانسجام وموضوعها شرحه طويل... ولكي لا يتقاطع العلم مع الدين، فالعلم في العقول والإيمان في القلب، ولكن لابد من استخدام العقول في فهم واستيعاب وتطوير الحياة وارتقائها، والنَّاس كلهم سواسية مثل أسنان المشط، ومن بالغ الصعوبة أن نقول على إنسان أنه ملحد، والحقيقة أنه مؤمن بطريقته الخاصة وفهمه للأمور ضمن بيئته وعاداته وتقاليده، إذ من بالغ الصعوبة أن نقول إن السومريين والبابليين والآشوريين والإغريق والرومان وأهل الصين وأهل الهند أنهم ملحدون، فهم مؤمنون وفق فهمهم ولم يقصدوا الإلحاد، فالملحد هو الذي يعيش وسط مؤمنين موحدين ويشذ عنهم عن عمد وسبق إصرار.

والمهم يبقى الماء والضياء والحياة حلقات مترابطة لأن الماء والضياء جوهرا الحياة.

* * *

# الحلقة الثلاثون

# العرب والصابئة المندائيون

١-كان البشر قبائل رُحَّل يجوبون الأرض بحثًا عن الماء والكلأ والمعيشة.

٢- بعد اكتشاف الزراعة بدأ عدد من القبائل الاستقرار في الأرض. فهناك قبائل استقرت في اليمن مثل العماليق حيث الماء والكلأ، وتعلموا زراعة الأرض، وأنشأوا مملكة سبأ وملكتها بلقيس، وبنوا سدَّ مأرب (عاد وثمود فهذه قبائل بائدة)، يُقال عنهم العرب البائدة وليس هناك دليل إلا ذكرهم في القرآن كقصة من قصص الأولين.

٣- قبيلة جرهم الجوَّالة هاجرت إلى أرض الرافدين واستقرت في جنوب العراق، وتعلمت الزراعة في أرض سومر حيث الجو المعتدل والأسماك والطيور والحيوانات الداجنة، وبنوا عدة مدن لكل مدينة ملك؛ أهم هذه المدن لكش.

٤- دعونا الآن نبحث عن أصل العرب:

الآباء المؤسسون للأجناس البشرية.

نوح وأولاده : سام، حام، يافت.

أنجب سام خمسة أبناء:

أرم أو آرام : الآراميون

آشور : الآشوريون

عيلام : العيلاميون

الوذ : الأمازيق... ليبيا والمغرب والجزائر وموريتانيا أفريقيا

ارفخشد : شالخ - عابر (نبي الله هود) - قحطان - يعرب - قبائل بدوية

- جرهم، عاد، ثمود، العمالقة عرب عاربة.

عاد، ثمود : العرب البائدة

العمالقة : اليمن

جرهم : بلاد سومر في وادي الرافدين.

يعرب يخلف يشجب يؤسس مملكة سبأ في اليمن - الملكة بلقيس - بناء سد مأرب - اليمن السعيد. بداية تكون اللغة السبأئية... أصل بدايات اللغة العربية في القبائل القحطانية من العرب العاربة.

٥- قلنا إن قبيلة جرهم هاجرت إلى أرض سومر واستقرت بعد أن تعلمت الزراعة.

٦- تتكون في سومر عدة دويلات، ولكل دويلة ملكها، وتبدأ ببناء المدن وتتكون المجتمعات المستقرة، وتتطور في بناء المدن وأهمها مدينة لكش... كذلك هناك قبيلة جوالة آرامية تتعلم الزراعة وبعض الحرف اليدوية وتستقر في جنوب العراق وتبني مدينة أريدو، ولاحقًا يستقر بُقربهم العبيد ويتم بناء مدينة أور قرب مدينة أريدو... هنا يوجد اختلاف عند المؤرخين؛ هل نفس القبيلة بنت مدينة أور، أو قبيلة جوَّالة أخرى استقرت في هذا المكان؟... عدد من المؤرخين يعتبرون أريدو وأور مدينة واحدة في بقعة جغرافية واحدة، ومن هنا تبدأ الحضارة السومرية. وهناك باحثون يؤكدون أن هذه القبيلة تمثل الأمة المندائية الآرامية الأصل من نسل آرام.

استقر المندائيون في الألف السادس قبل الميلاد في أريدو التي سبقت بناء مدينة أور وتعني الأرض في السهل الرسوبي، وكان هذا الشعب الكالكوكيتي (الحجري النحاسي) قد شهد بدايات الانقلاب الذكوري وإزاحة المرأة من المجتمع، واعتبروا أن الماء هو أساس الحياة ولولاه ما عاش الإنسان ولا الحيوان، ولا حصلت الزراعة والخصب والنماء... وسمَّوا الماء الحياة لأنه أساس الخصب، واعتبروا الفرات نهرًا مقدسًا وأسموه يردنا (نهر الأرض)...

وأُطلِق على سكنة أريدو اسم شعب سونار، التي تطورت لاحقًا إلى شنعار، في عام ٤٥٠٠ قبل الميلاد والتي دمرها (الأموريون) في الألف الخامس قبل الميلاد... الشعب المندائي من شعوب سونار كما ذكرنا، أو ناسار التي أصبحت لاحقًا ناصر أو ناصور أو نصر ومنها ناصورائيون، ولهذا ملوك وادي الرافدين (نبوخذ نصر، شليما نصر... وهكذا) وهذا الاسم القديم للمندائيين الذين أرسوا أولى لبنات الحضارة للعبيد وللسومريين، وهذه الأقوام عاشت متجاورة بحيث من بالغ الصعوبة فصلهم عن بعض وهم بناة الحضارة الإنسانية الأولى للبشر.

في هذه المرحلة من التاريخ يظهر إبراهيم الخليل عليه السلام الآرامي الأصل والذي ينجب إسماعيل من هاجر، ويستقرون لاحقًا في الجزيرة العربية قُرب بئر زمزم، ويرفعون حجر الكعبة... إسماعيل ينجب عدنان، ومنه يتكون العرب المستعربة، لأن ابراهيم آرامي الأصل.

يرحل أعداد من قبيلة جرهم والعماليق بسبب ازدياد أعدادها في الجزيرة طلبًا للحماية ويستقرون قُرب زمزم، فيصبح لدينا في هذا المكان عرب عاربة وعرب مستعربة، بعد أن قوت شوكت العرب العاربة.

٧- تنشأ حروب بين هذه الدويلات التي تشكَّلت جنوب وادي الرافدين... وتسيطر مدينة لكش فتبدأ مرحلة الأكاديين، ويتم بناء مدينة آكد على أنقاض أريدو واور... ثم تسقط أكد على يد الكوتيون وهم قبائل من العموريين من إيران.

٨- في هذه المرحلة يظهر البابليون في الجنوب والآشوريون في الشمال، ويُسمَّى الجنوب وادي الرافدين أو أرض شنعار أو بلاد ميزوبوتاميا بالإغريقي... ويتمكن حمورابي من توحيد هذه المدن ويؤسس الحضارة البابلية، أي أُمة تستطيع أن تزرع أرضها وتوفِّر غذاءها وتصنع سلاحها، وتستطيع أن تبني حضارة... ويتم القضاء على السومريين الذين يهربون بزوارقهم إلى أعماق الأهوار ويستقرون مستفيدين في بناء بيوتهم من القصب والبردي على جزرات يغطيها الماء يعيشون فيها مع حيواناتهم مع وفرة الأسماك والطيور.

٩- يدمر الفرس الاخمينيون بقيادة كورش بابل.

١٠- بعد سقوط بابل تبدأ السلالات العربية بالهجرة من الجزيرة إلى بلاد الرافدين وبلاد مابين النهرين، وتؤسس دويلات مثل المناذرة والغساسنة وبني شيبان والرها في عام ٣٠٠ بعد الميلاد، وهذا بداية التواجد العربي في العراق وسوريا... يستمر الحال ضعيفًا بسبب هيمنة الفرس الذين لا يعطوا أهمية لهؤلاء الأعراب لانشغالهم في حروب مع البيزنطيين الرومان، لغاية ظهور الدين الإسلامي الذي يبشِّر به النبي محمد بن عبد الله الذي يتمكن من توحيد القبائل العربية في الجزيرة باسم الدين.... وبعد أن تستتب الأمور للنبي محمد ﷺ... وفي زمن الخليفة عمر بن الخطاب عام ٦٣٣م؛ يتم فتح العراق في معركة القادسية وتسقط الهيمنة الفارسية وينتشر الدين الإسلامي... ولكون القرآن عربي؛ يبدأ انتشار اللغة العربية وتنحسر اللغة الآرامية وتضعف بعد ترجمة كل الدواوين للعربية واعتماد اللغة العربية بالتعامل... يضعف الشعب الآرامي بسبب التقسيم، فالمندائيون الآراميون الأصل الذين اعتنقوا الدين المندائي أُطلق عليهم مندائيون، وهناك من الشعوب الآرامية من اعتنق المسيحية فأُطلق عليهم السريان، ومن اعتنق الدين اليهودي أُطلق عليهم عبرانيون... وهكذا اضعف هذا التقسيم الآراميين كشعب كبير، علمًا أن الآراميين أول الشعوب التي أوجدت الأبجدية الآرامية المكتوبة بيسر وسهولة وتركت الخط المسماري الطيني، كذلك تضعف اللغة الآرامية وتزدهر اللغة العربية، وكل السومريون والبابليون والآشوريون من العرب المستعربة يتعلمون اللغة العربية لتسيير مصالحهم... ويصبح العراق عربيًا رغم أنه مزيج من السومريين والآكديين والبابليين والآشوريين وأقوام أخرى وأديان متعددة تضعف مع الوقت.

أمَّا الصابئة المندائيون المتشددون والمتعصبون لدينهم وهربًا من الاضطهاد ودفع الجزية يندفعون بزوارقهم التي يصنعونها بأنفسهم على شكل جماعات إلى أعماق الأهوار ليلتحقوا بالرعيل الأول الذي استقروا في الأهوار

بعد سقوط أور وأريدو وكل المُدن السومرية... وهناك يشكِّلون مجموعات متفرقة ولكنها متقاربة، يطلقون عليهم اسم الشروكِية وتعني بالسومرية: المواطنون الأصليون... وبحكم المصلحة والحاجة ومتطلبات المعيشة يتعلمون اللغة العربية لتسيير أمورهم المعيشية وترويج بيع بضاعتهم مما يصنعونه من أعمال الحدادة والنجارة والصيد لحاجة الآخرين لهذه العِدد والزوارق، ويبدأ الاندماج لغاية احتلال العراق من قبل الإنجليز عام ١٩١٧م وتأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١م واستتباب الأمن نوعًا ما، فيتقرَّب الصابئة المندائيون المغلوب على أمرهم رويدًا رويدًا إلى حافات الأهوار في القصبات والقُرى والنواحي، ويعتاشون مع العشائر العربية لحاجة هذه العشائر لهم في صناعة العِدد الزراعية وعِدد الصيد والزوارق بأنواعها، ولحاجة شيوخ العشائر لتصليح أسلحتهم وصياغة الحلي لنسائهم... ولأنهم أناس مسالمون بسطاء لا يطلبون أكثر من حقهم فما دون؛ تعاطف معهم الناس وتمكنوا من العيش معهم بسبب حِرفهم، وأمانتهم وصدقهم.

* * *

# الحلقة الحادية والثلاثون
# غسل الجسد قبل الموت

العلم الحديث أثبت أن الماء الحيّ فيه حياة، وكذلك له إحساس وذاكرة، وأن النشماثا حيَّة لا تموت لأنها قبسٌ من الحيّ العظيم، وأن الجسد المادي الذي جُبِلَ من الطين الأحمر وتلَّبسه الجسد الأثيري القادم من الدموثا من عالم الحق (مشوني كشطة) الذي يحمل النشماثا (النفس) والذي وهب للجسد المادي الحياة؛ يجب أن يطمش (يغسل) هذان الجسدان وهما متلبسين طالما فيهما حياة، بالماء الحيّ لطهارتهما، وحال مغادرة الجسم الأثيري الذي يحمل النشماثا الجسد المادي الذي جُبِل من طين (خلقنا آدم من الطين الأحمر ومن الدم والمرارة وأسرار هذا الكون) - كنزا ربا... إذ لا يجوز غسل الطين (الجسد المادي جُبِلَ من طين وإلى الطين يعود)، ويبقى المهم الجسد الأثيري الحيّ الذي يحمل النشماثا والذي سيرتقي في اليوم الثالث من مواراة الثرى للجسد المادي إلى مشوني كشطة (عالم الحق) ليعود إلى المثيل السني (الدموثة) ليحيا حياة ثانية بدون موت ثاني وبدون أمراض وبدون شيخوخة، لكون النشماثا أُخِذت من الدموثة في نهاية الشهر الرابع للصيرورة في رحم الأم لتدبَّ الحياة في الجنين.

هكذا فهمنا الموضوع عند دراسته من كتب الصابئة المندائيين التي تشير إلى النشماثا حصرًا، والتي هي عبارة عن اتحاد النفس مع الروح، إذ أن النفس قبسٌ من هيي قدمايي طاهرة نقية لا تموت ولا تُحَاسب، بينما الروح هي مجمل الفعاليات التي يقوم بها الإنسان من المهد إلى اللحد وتخضع للحساب في المطراثي بعد وفاة الجسد المادي.

إنها أمور روحانية نراها بعيون القلب، إذ يجب أن نفصل بين العقل الذي يدرك العلم والمعرفة، وبين القلب الذي يدرك الإيمان والتوحيد.

# الحلقة الثانية والثلاثون

# لماذا غسل الجسد قبل الموت ؟

**مقال مهم للدكتور قيس مغشغش، جاء فيه:**

الماء والموت نقيضان، فالماء سبب الحياة ودليلها، في حين أن الموت سبب نهاية الحياة ودليلها. ولا شك أنهما لا يلتقيان أبدًا، ذلك أن لا حاجة لأحدهما بالآخر، فالماء، كونه حي، لا يعترف بالموت ولا يمكن أن يدنو منه لأنه حياة بذاته. والموت، حين يتحقق، فلا يمكن رده إلى حياة، ولذلك لا ينفع معه الماء.

وإذا كان الماء دليل الحياة، فالموت دليل إبادة وتفسخ ونهاية. من هنا فهما لا يلتقيان، ولذلك مهما بقي الحصى والحجر في الماء فإنه لا يحيا لأنه مادة غير حية، وهكذا الجسد الميت أيضًا.

يقودنا هذا إلى موضوع غسل الجسد قبل تحقق الموت أم بعده.

تشذ المندائية عن الأديان الأخرى؛ اليهودية والمسيحية والإسلام؛ في أنها توصي بغسل (طماشا) للمتوفي قبل تحقق الوفاة، وتمنع أو تحرِّم القيام بذلك بعد تحققها، في حين تتم عملية غسيل المتوفي في الأديان الأخرى بعد تحقق الوفاة وليس قبلها، علمًا بأنه لم يرد في القرآن إشارة لغسل المتوفي لا قبل ولا بعد الوفاة. وجميع الأديان وضعت خطوات وإجراءات لذلك ربما تكون عديدة كما في اليهودية والإسلام واستخدام الصابون والكافور، والبعض باعتماد النبيذ أيضًا!

أما فكرة المندائية، وببساطة قيمة، فتشير إلى تناقض الماء مع الموت، وطالما تحقق الموت فلا يجوز التغسيل لأن الماء دليل حياة والوفاة دليل موت وهما لا يلتقيان أبدًا. وعلى هذا يكون الحرص على أن تتم (الطماشا) قبل أن يدرك الفرد الموت، ولبس الملابس الخاصة (قماشي). وفي هذا شعور الفرد

قبل الوفاة بأن بدنه نظيف وإنه تطهر بالماء لتطيب نفسه وترضى.

وسجلت في أحايين أن بعض الأفراد انتعشوا بعد الطماشا وقاموا، كما أن ذلك يكون مؤهلاً للبس الملابس الخاصة؛ وهي بالمناسبة نفس قطع الرستا للصباغة، ببساطتها وكيفيتها لما يغطي البدن سوى النصيف يكون عريضا وطويلا بما يكفي لتغطية البدن من الرأس وحتى القدم ويسمى عندها (القابوع). هكذا يطمئن المحتضر قبل تحقق الوفاة بأنه نظيف البدن وقد ارتدى لباسه الأبيض البسيط الذي لا تفاخر فيه فيطمئن.

فإن حصلت الوفاة فلا يجوز غسل المتوفي في الديانة المندائية مطلقًا، بل إلباسه ملابسه كاملة والقيام بالإجراءات الأخرى كما لو كان الفرد قد طمش قبل الوفاة.

وتتم مراسيم الدفن كما هي، وتقام بقية الإجراءات له بعد الوفاة، فيما يلزم بين من توفى وقد استوفى الإجراءات الكاملة أو من توفى بأسباب لم يتم التمكن من القيام بها. ففي جميع الأحوال ليس للمتوفي ذنب في حاله وليس له القدرة على ذلك.

أما الغسل بعد الوفاة، فلا شعور فيه ولا إحساس، إضافة إلى تناقض الماء مع الموت، والقيام به يكون كمن يجمِّل البدن للتفسخ، في حين أن المندائية توفِّر الإحساس بالنظافة للنفس حين تدرك أن البدن الذي احتواها طيلة عمرها قد صار نظيفًا أيضًا، وتشعر النشماثا بالسعادة أنها والماء؛ وهما الحيَّان الوحيدان على الأرض؛ يترافقان سويًا.

* * *

# الحلقة الثالثة والثلاثون

# ولد أم بنت

منذ فجر التاريخ ومشكلة ولادة ولد أو بنت قائمة؛ وليومنا هذا... فأيام زمان كانت العائلات تتمنى أن تُرزق بالأولاد كعزوة وقوة وحماية وأيدي عاملة منتجة، والذي يرزقه الله كثرة من البنات يسمونه "أبو البنات"؛ ليس عارًا لكن تقليل من شأن هذا الرجل، فيلجأ للزواج من أكثر من زوجة لعله ينجب الولد، وقد قال الرسول محمد ﷺ (إذا مات الرجل انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علمٌ ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)... نعم قال ولد صالح تعزيزًا لمقام الولد ومكانته بالمجتمع.

وفي الأمثال الشعبية يقال للمرأة التي ليس لها بنت أن مجلس عزائها سيكون باهتًا لأن ليس لها بنت تندب وتبكي عليها... وعمومًا فالعرب يحبون أن يكون لهم أولاد أكثر من البنات، لأن المجتمعات العربية ذكورية.

تطورت الحياة وأصبحت المرأة مكافئة للرجل في كثير من الأمور في العلم والأدب والعمل المنتج البنَّاء، واتضح أن البنت أكثر حنية على والديها خاصةً عند تقدمهما في العمر حتى وإن كانت متزوجة وأولادها وبناتها أكثر قربًا لأهلها من أهل أبيهم لأنها المربية الحقيقية في البيت.

وعمومًا:

جينات الرجل هي من تلعب دورًا رئيسًا في صنع القرار ( ولد أو بنت ). الذكور يرثون من الأم والأب قابلية ولادة ذكر أو أُنثى، وهذا يعني أن من له أخوة ذكور هناك احتمال كبير أن تلد زوجته ولدًا، ومن له أخوات أكثر احتمال كبير أن تلد زوجته بنات.

وعلميًا الزوج الذي يملك حيامن منوية ذكورية رمز (Y) أكثر تلد زوجته

ولدًا... والرجل الذي يملك حيامن منوية أنثوية (X) أكثر تلد زوجته بنت... والزوج الذي يملك حيامن ذكورية وأنثوية متساوية (X، Y) احتمال كبير أن يحصل على رقم متساوي من الأولاد والبنات.

وهذا تمَّ إثباته علميًا من خلال الاحصاءات والاختبارات، وعلى الرجال أن يعقلوا الأمور ويؤمنوا بالتطور العلمي في هذا المجال، والدليل على ذلك أطفال الأنابيب وزرع الحيامن في البويضة في رحم الأم، أو تلقيح البويضة بحيمن وزرع هذه البويضة الملقحة في رحم أي امرأة رحمها صالح للحمل، وأحيانا كثير من البويضات الملقحة تلد توائم... ولله في خلقه شؤون.

والذي يهمنا هذا الموضوع المهم أن الجنين يسبح في رحم أمه في ماء الرحم، ويتطلع للخروج ليرى النور ليبدأ الحياة.

* * *

# الحلقة الرابعة والثلاثون

# فكرة مبسطة عن النسبية الخاصة

كتب الأستاذ الدكتور موحان منهل مقالاً بعنوان (فكرة مبسطة عن النسبية الخاصة والزمان)، نورده هنا للاستفادة من هذه الطروحات العلمية المفيدة لما لها من أهمية لفهم بعض الأفكار التي كانت تدور في عقل العالم الفذ أينشتاين وبشكل مبسط وسهولة:

- هل رأيتَ شخصًا يعيش حياته لكن لا زمن له؟
- عندما تطعن عدوًا بسرعة الضوء؛ السكين تصبح قرصًا.
- الذي يسافر اليوم، يمكن أن يعود البارحة

نطرح هنا فكرة مبسطة جدًا وبعيدة كل البُعد عن الرياضيات العالية واشتقاقاتها المعقدة التي يصعب على كثير من القُرَّاء الكِرام إدراكها عن نسبية أينشتاين الخاصة بتلك النظرية التي غيَّرت الكثير من مفاهيم الفيزياء الكلاسيكية.

منذ أن وُجِد الإنسان في هذا الكون كان يستخدم البُعد الواحد في حياته الاعتيادية، فهو إذا رأى طعامًا سار إليه، وبعد أن تطَّور واستغل الأرض؛ أخذ يحسب المساحات؛ طول المساحة وعرضها، وأصبحت مضامينه ذات بُعدين: الطول والعرض، فالهندسة المستوية التي هي من نِتاجه تبحث في السطوح مثل المربع والمثلث والدائرة... مع تطور معرفته عبر الزمن ظهرت الحاجة الماسَّة لاستخدام بُعد ثالث (الارتفاع) فأخذ يستخدم أبعاد الكون الثلاثة في حساباته الرياضية والهندسية، وصار يستخدم المجسمات مثل ( الكرة والمخروط والهرم).

وبقي هكذا حتى أدخل أينشتاين البُعد الرابع (الزمن) فالكون الذي نعيش

فيه له أربعة أبعاد وليس ثلاثة كما تقول الفيزياء الكلاسيكية... لقد استطاع أينتشاين أن يصوغ نظريات في النسبية العامة والنسبية الخاصة بقوانين رياضية ومعادلات أثبت فيها أنه لا وجود للمكان والزمان المطلقين، وأنهما نسبيان.

وما الكون إلا متصلاً مكانيًا وزمنيًا له أربعة أبعاد هي أبعاد المكان الثلاثة مضافًا إليها البُعد الزمني. كما أن أينشتاين استطاع أن يبين الترابط البسيط بين الكتلة والطاقة، وجعل العلاقة بينهما علاقة وثيقة وعلى شكل معادلة رياضية بسيطة $E=M\,c^2$ حيث (M تمثل الكتلة) و(E تمثل الطاقة) و(c تمثل سرعة الضوء). كما أنه استطاع أن يبين العلاقة بين المكان والزمان وتحويل أحدهما للآخر. وأنه ينفي وجود شيء ثابت في الكون عدا سرعة الضوء التي تمثل الحد الأعلى الذي لا يستطيع أي جسم متحرك الوصول إليه. كذلك يرى أن كل المقاييس (مقاييس الأبعاد والحجوم والمكان والزمان والكتلة وغيرها) نسبية، فالشيء الوحيد الواحد الذي يقيسه عدد من الأشخاص ومن أماكن مختلفة وفي زمن واحد وبسرعات مختلفة؛ يعطي نتائج مختلفة. فالقياسات تكون نسبية للشخص الذي يشاهدها، لذا سُميت هذه النظرية النسبية.

إن الكون كما هو معروف واسع الأرجاء، ولقياس أبعاده الكونية لا نستخدم المتر أو الكيلومتر كوحدة للقياس، وإنما نستخدم سرعة الضوء لقياس المسافات بين الأجرام السماوية، حيث أننا نستخدم السنة الضوئية كوحدة قياس للتخلص من الأرقام الكبيرة جدًا. فالسنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء في سنة واحدة وهي تساوي: ٦٠×٦٠×٢٤×٣٦٥×٣٠٠٠٠٠ كم

وهذا مقدار كبير، ولا تستغرب إذا قلنا إن هناك نجومًا تبعد عنا آلاف السنين الضوئية وهي تقع في مجرتنا (درب التبانة)، فإذا فرضنا أن انفجارًا حدث في نجم يبعد عنا ٢٠٠٠٠٠ سنة ضوئية؛ فإننا سوف لن نعلم بوقوعه إلا بعد مرور سنواتنا الأرضية.

إن الزمن من وجهة نظر النسبية يطول ويقصر حسب ظروف معينة، وحسب اماكن معينة، فهو لا يجري بالتساوي في أنحاء الكون... فالزمن كما يقول أينشتاين؛ يطول ويقصر حسب أمرين: الأول، حسب الكتلة (النظرية النسبية العامة). والثاني، حسب السرعة (النظرية النسبية الخاصة)... فهو يرى أن الزمن يتغير عكسيًا مع تغير السرعة، فكلما زادت السرعة؛ زاد تباطؤ الزمن... فإذا ما وصلت سرعة الجسم إلى سرعة الضوء؛ وهذا مستحيل بالطبع؛ فإن الزمن يصبح صفرًا، وهذا يعني أن من يسير بسرعة الضوء لا زمن له... هل رأيت شخصًا يعيش حياته لكن بدون زمن له؟

ولو سار الجسم بسرعة أكبر من سرعة الضوء؛ فإن الزمن سيرجع إلى الوراء، فالذي يسافر اليوم ممكن أن يعود البارحة.

ولتبيان تباطؤ الزمن مع السرعة، نفرض أن الشخص (أ) يسير بسفينة فضائية وأن لديه ساعة مضبوطة، وأن اخاه التوأم (ب) يمتلك ساعة تشير إلى نفس الوقت الذي تشير إليه ساعة (أ)، ولنفرض أن (ب) يمتلك مرصدًا على سطح الأرض فيه من أجهزة ما تجعله يراقب (أ) بدقة، ولنفرض أن (أ) انطلق بسرعة كبيرة جدًا في الفضاء فإن (ب) سوف يرى أن ساعة (أ) قد تأخرت عن ساعته وأن هذا التأخير يزداد كلما زادت سرعة (أ)، حتى تشرف على الوقوف عندما تقارب سرعة (أ) سرعة الضوء، أما إذا سار (أ) بسرعة الضوء تمامًا فإن ساعته ستقف، وهذا يعني أن زمنه يصبح صفرًا كما قلنا سابقًا، ولو عاد (أ) إلى الأرض لوجد أن أخاه (ب) يزيده عمرًا بسنين عديدة، وقد يكون عجوزًا وقد علا الشيب رأسه.

* * *

# الحلقة الخامسة والثلاثون

## تعميد السيد المسيح

التعميد ركن أساسي من أركان الدين المندائي (التوحيد، التعميد، الصوم، الصلاة، الصدقة)، ولهذا أمر الله الحي العظيم نبي الله يحيى بن زكريا أن يعمِّد السيد المسيح في الماء الجاري في نهر الأردن، وأثناء النهار حيث الضياء التام، ليمنح حياة جديدة طاهرةً نقيةً، وبناءً على ذلك قال السيد المسيح بحق نبي الله يحيى: (الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ولكن الأصغر في ملكوتِ السماواتِ أعظم مِنه)، ويقصد هنا الملائكة.

ووفقًا لما ورد في الكتب المقدسة فإن يحيى وُلِد بمعجزة من انشبي (اليصابات) العاقر الطاعنة في السن ومن زوجها الشيخ زكريا الذي بلغ من العمر عتيا، وكذلك السيد المسيح ولدته مريم العذراء دون أن يمسها رجل... أمور روحانية بحتة.

والمهم بالموضوع أن هناك صلة قربى بين مريم وزكريا وانشبي ولهذا كفل زكريا مريم وعاشت معهم في نفس البيت، وكان يوهانا عمره ثلاثة عقود ويعظ الناس في أمسيات الليالي ويعمِّدهم في نهر الأردن في بيت حنانيا في وادي الجرار... نهل السيد المسيح التعاليم والمواعظ من معلمه يوهانا وتسلَّح بها، وعندما أصبح شابًا طلب من يوهانا أن يعمِّده كما يعمِّد الناس، ويقرأ عليه الأسماء والبوث (الآيات) الخاصة بالصباغة... وفعلاً عمَّد يوهانا السيد المسيح تعميدًا صابئيًا مندائيًا.

لقد استفاد السيد المسيح من روح تعاليم يحيى ومواعظه، ولهذا لا نجد أن هناك فرقًا بين منطق وأسلوب الرجلين، لأن من يقرأ تعاليم يحيى ويقرأ الإنجيل بإمعان يجد نفس التعاليم ونفس المعنى.

لقد عاش يحيى ثلاثًا وستين سنة، وعندما انتقل إلى ربه بواسطة الملاك منادهيي (جبريل) بناءً على طلبه، خلال كل هذه الفترة لم يدَّعي السيد المسيح النبوءة إلا بعد ثلاث سنوات من عروج يحيى إلى عالم الأنوار (الجنة)، وهذا يعني أن يحيى والمسيح عاشا ثلاثة عقود سويًا، عاشا في مكان واحد وينطقان لغة واحدة ويؤمنان بدين واحد، ولكن بعد ارتقاء يحيى بثلاث سنوات كما ذكرنا أعلن عيسى النبوءة وخفَّف كثيرًا من غلواء وتعقيدات الشعائر والطقوس المندائية ومنها شعيرة التعميد التي اختصرها بالرش، كذلك الصلاة بدل البراخة والرشامة (الوضوء والصلاة)، فألغى الوضوء وبسط الصلاة بالتثليث... وهكذا سهَّل على الناس إجراء الشعائر والطقوس، وخفَّف الصوم وكثيرًا من الشعائر والطقوس، أي ركَّز على الدين وخفَّف التدين، وأخبر تلاميذه أن كل ما يعتمدونه في الأرض ستوافق عليه السماء، فكثر أتباعه ومريدوه.

إن الثوابت التاريخية تؤكد أن كل أنبياء الله من أصل بلاد الرافدين حتى الرسول محمد ﷺ من أصل شنعاري، ويدلنا على ذلك قول علي بن أبي طالب (نحن من قريش وقريش من النبط، والنبط من كوثى)، والأنباط هم فلاحو ميسان وكوثى هي الكوفة.

وهذه وثيقة توضِّح تعميد السيد المسيح من قبل نبي الله يحيى بن زكريا.

تعميد السيد المسيح

يحيى يحط ويرشد في الأناسي، يقول: اشرق النور على العوالم. منّ خاطب عيسى؟ من حدث عيسى المسيح من مريم العذراء؟ عندما ذهب الى مصلّة يردنا قال: يا يحيى اصبغني بصباغتك. وانطق الاسم الذي تذكره علي، وسلكر صليبك هذا في وثيقة خطيئة. فقال له يحيى: كيف اصبغك وقد هزأت باليهود وكهنتهم وأحبارهم؟ قال عيسى: لم أعرا رسالة، وبيت الخراب لا يتألق. الأمانة لا تصبح عروساً، والماء الممتلئ لا يتضوع طيباً، والحصى لا يترطب بالزيت.

قال عيسى: الأخرس يصبح معلماً، والأعمى يكتب رسالة، ويتألق بيت الخسراب، والأرملة تصبح عروساً، والماء الممتلئ يتضوع طيباً، والحصى يترطب بالزيت. قال يحيى لعيسى: وضح ذلك.

اجابه عيسى في اورشليم: الأخرس يصبح معلماً.. المولود الذي يأتي يتعمد، ويتكلم ويصبح كبيراً، يمنح الشرفاء ويكسب الأجر. الأعمى يكتب رسالة.. ابن السوء اذا جلست الخاطئة وترك الزنى والسرقة، وآمن بالحياة العظمى، وبيت الخراب يتألق.. إذا رق ابن الحياة، وهجر الظلمة والفراش، وبنى بيتاً عند الشاطئ وجعل له بابين، فمن جاء من شمال فتح له باباً واقبله، ومن جاء من جهة الشمس فتح له الباب الآخر واقبله، فاذا طلب طعاماً، اعط له المائدة بالحق، واذا طلب ماء، سقاه، واذا اراد النوم، جهز له فراشاً، واذا طلب الرحيل ارشده الى طريق الحق والايمان، وارتقى منطقاً الى موضع النور.. الأرملة تصبح عروساً.. عروس زينت، وهي في شرخ الشباب، احتجبت واعتزلت من اجل رعاية ابنها، وكلما خرجت لم يفارق نظرها وجه زوجها.

الماء الآسن يتضوع طيباً: فتاة غانية متحررة بلا قيود اصبحت أمناً، صعدت قاصدة المدينة، ولم ترفع الوشاح عن وجهها.

الحصى يترطب بالزيت: الزنديق الذي هبط من الجبل، تاركاً السحر، والشعوذة، وآمن بالحي العظيم، وأوى اليتيم، وملأ حضن الأرملة.

يا يحيى اصبغني بصباغتك، وانطق الاسم الذي تذكره علي، فسوف اذكر هذا لك في وثيقة، قالت مسؤول عن خطيئاتي، وانا مسؤول عن خطاياي. وقد قال عيسى لك، هبطت رسالة من السماء تقول: يا يحيى اصبغ المسيح. اصبغه في يردنا، واصعد ضفة النهر، حيث الحمامة رسمت صليباً فوق يردنا وتوّجت الماء بالوان متعددة وقالت ليردنا: انت قدستني، وقدست ابنائي... وهكذا اصبح الماء الجاري الذي اصطبغ به المسيح، ماء مقدساً، والخمر المقدس الذي تناوله المسيح، روحاً تتقدس، والماء الذي شرب منه المسيح اصبح فريداً.

LESSING FROM THE HOLY CHURCH OF ST. JOHN THE BAPTIST IN JORDAN

*Superior Archimandrite Gabriel*

يحيى يعظ ويرشد في الأماسي، يقول: أشرق النور على العوالم. من خاطب عيسى؟ من حدَّث عيسى المسيح بن مريم العذراء؟ عندما ذهب إلى ضفة يردنا (الماء الجاري في نهر الأردن)... قال: يا يحيى اصبغني بصباغتك، وانطق الاسم الذي تذكره عليَّ، وسأذكر صنيعك هذا في وثيقة خطية.

فقال له يحيى: كيف أصبغك وقد هزأت باليهود وكهنتهم وأخزيتهم؟

قال عيسى: لم أهزأ بالرجال الكهنة، وإلا سأموت مرتين.

قال يحيى: الأخرس لا يصبح معلمًا، والأعمى لا يكتب رسالة، وبيت الخراب لا يتألق. الأرملة لا تصبح عروساً، والماء النتن لا يتضوع طيبًا، والحصى لا يتربط بالزيت.

قال عيسى: الأخرس يصبح معلمًا والاعمى يكتب رسالة، ويتألق بيت الخراب، والأرملة تصبح عروسًا، والماء النتن يتضوع طيبًا، والحصى يتربط بالزيت.

قال يحيى لعيسى: أوضح ذلك.

أجابه عيسى في أورشليم: الأخرس يصبح معلمًا... المولود الذي يأتي ينمو، ويتكلم ويصبح كبيرًا، يمنح الزدقة (الصدقة) ويكسب الأجور... الأعمى يكتب رسالة، ابن السوء إذا حسنت أخلاقه وترك الزنا والسرقة، وآمن بالحياة العُظمى... وبيت الخراب يتألق، إذا رق ابن الحياة وهجر القلعة والفراش، وبنى بيتًا عند الشاطئ وجعل له بابين، فمن جاءه من سُفلٍ فتح له بابًا وقابله، ومن جاءه من علٍ فتح له الباب الآخر وقابله، فإذا طلبَ طعامًا أعدَّ له المائدة بالحق، وإذا طلب ماءً سقاه، وإذا أراد النوم جهَّزَ له فراشًا، وإذا طلبَ الرحيل أرشده إلى طريق الحق والإيمان، وارتقى الى موضع النور... الأرملة تصبح عروسًا، عروس أرملت، وهي في شرخ الشباب، احتجبت واعتزلت من أجل رعاية ابنها، وكلما خرجت لم يغادر نظرها وجه زوجها... الماء الآسن يتضوع طيبًا: فتاة غانية متحررة بلا قيود أصبحت أُمًّا، صعدت قاصدة المدينة، ولَم ترفع الوسام عن

وجهها... الحصى يتربط بالزيت، الزنديق الذي هبط من الجبل تاركًا السحر والشعوذة، وآمن بالحي العظيم، وآوى اليتيم، وملأ حضن الأرملة.

يا يحيى أصبغني بصباغتك، وانطق الاسم الذي تذكره عليَّ، فسوف أذكر هذا لَكَ في وثيقةٍ، فأنتَ مسؤول عن خطاياك، وأنا مسؤول عن خطاياي... وإذا قال عيسى هبطت رسالة من السماء تقول: يا يحيى اصبغ (عمِّد) المسيح، اصبغه في الماء الجاري (اليردنا)، واصعد ضفة النهر، حيث الحمامة رسمت صليبًا فوق يردنا ولوَّنت الماء بألوان متعددة وقالت ليردنا: أنت قدستني وقدست أبنائي.

وهكذا أصبح الماء الجاري الذي أُصطبغ به المسيح ماءً مقدَّسًا، والخبز المقدس الذي تناوله المسيح روحًا للقدس، والماء الذي شربه المسيح أصبحَ قربانًا.

* * *

# الحلقة السادسة والثلاثون

# مستوطنة يحيى بن زكريا

عاش نبي الله يحيى بن زكريا على ضفاف نهر الأردن قُرب الماء الجاري وهو يعمِّد الناس في وضح النهر حيث الضياء التام، لا يكلّ ولا يملّ، من شروق الشمس حتى غروبها... ومؤخرًا تمَّ اكتشاف المستوطنة في بيت عنيا في وادي الجرار في الأردن، وتمَّ اكتشاف المغطس الذي عمَّد فيه يحيى المسيح...

لذا وجب الإطلاع على هذا البحث الذي نشرته جريدة الرأي الأردنية:

الحفريات تكتشف مستوطنة نبي الله يحيى بن زكريا على الضفة الشرقية لنهر الأردن، وهناك من يؤكد أن هذا المغطس هو الذي عمَّد به يحيى بن زكريا السيد المسيح، مما دفع وزارة الآثار الأردنية إلى تبني هذا، واعتبروه أهم الاكتشافات الأثرية، حيث توجد التلة التي تُسمَّى تلة أليا التي كان يحيى يثبت علمه فوقها (الدرفش) للدلالة.

ويُذكر أن هذه المستوطنة في زمن يحيى وعيسى كانت مأهولة بالناس. كذلك يُذكر أنه كان في هذا الموقع عِدة بِرك من الماء الصافي، وهناك من يقول إنها ثلاث برك مهمة، يوجد في إحداها مدرجات حجرية لنزول المتعمد للماء. وكان التعميد يجري وفق مراسيم الدين المندائي بتغطيس المتعمد كاملاً بالماء بحيث ينقطع عن كل ما حوله، وعند خروج رأسه من الماء يعتبر أنه تطَّهر وبدأت له حياة جديدة بعد هذا التعميد... وبنفس الطريقة تعمَّد السيد المسيح تمامًا.

وهناك عدد من الباحثين يؤكِّدون أن السيد المسيح قد تعمَّد في نهر الأردن لأن يوحنا المعمدان كان يتعمَّد ويُعمِّد الناس في نهر الأردن رغم عُمق هذا النهر وفيضانه أحيانًا، لكن كان هناك على ضفافه في مكان إقامة يحيى في بيت عنيا

منطقة فيها المياه الجارية للنهر يمكن إجراء مراسيم التعميد فيها، وهذا ما يؤكده عدد من الباحثين، ويعتبرون بيت عنيا التي تقع شرقي النهر منطقة مقدسة.

لقد بنا البيزنطيون كنيسة في هذا الموقع المقدس ما تزال آثارها شاخصة للعيان تثمينًا ليوحنا المعمدان الذي عاش هناك وعلم معمودية التوبة وغفران الخطايا، وهذه الكنيسة مربعة الشكل ولها أعمدة من الرخام وصليب أو درفش من الحديد. كما تمَّ العثور على خشبتين متقاطعتين في النهر قُرب الموقع، ولا يُعرف إذا كانت تعني صليبًا أم درفشًا، لأن الفرق هو قطعة القماش البيضاء التي مع الوقت تهترئ وتتلف أو يأخذها مجرى الماء. كذلك تمَّ العثور على كنيسة أخرى أصغر من الأولى يقال إنها بُنيت في الموقع الذي نزع فيه يسوع ملابسه الخاصة ليلبس الرستة (لباس ديني من القماش الأبيض). ويُذكر أن هذه الكنيسة قد بناها أحد الرهبان أصيب بحُمى شديدة، وأراد أهله نقله من الكهف الذي التجأ اليه إلى جبل سيناء للشفاء، لكن ظهر له في المنام يوحنا المعمدان وطلب منه البقاء في هذا الكهف قائلاً له: (إن يسوع المسيح قد زارني في هذا المكان لإجراء مراسيم التعميد بأمرٍ من الرب، فهذا المكان مُقدَّس وسيتم شفاؤك هنا أيها الراهب ببركة الرب... وفعلاً بعد أيام قليلة شُفي الراهب وعادت له صحته على أحسن ما يكون، ولهذا قرَّر بناء هذه الكنيسة تعبيرًا عن شكره وامتنانه.

يؤكد العديد من الباحثين أنه تتوفر كثير من البيانات تثبت أن بيت عنيا في وادي الخرار قُرب ضفاف نهر الأردن هي بلدة يحيى بن زكريا، حيث تكثر المياه الجارية النقية وضياء الشمس في النهار ونور القمر في الليالي المقمرة؛ وما أكثرها.

ولأن هذه البُقعة من الأرض مزدهرة بمائها وضيائها وتعتبر موطن يهيا يهانا (يوحنا المعمدان) أو كما ورد ذكره في القرآن الكريم: يحيى بن زكريا. وكلمة يحيى تعني الحي الذي لا يموت ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[1]... ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا﴾[2].

(١) سورة مريم: الآية ١٥

(٢) سورة مريم: الآية ٧

# الحلقة السابعة والثلاثون

## إكليل الآس

يُعتبر إكليل الآس أحد أسرار عالم الأنوار، سِرُّه مثل سِرِّ الماء الجاري والأسرار الأخرى المقدسة... وسر إكليل الآس تم وصفه في كتاب الكنزا ربا بأنه تنبعث من أوراق إكليله اشعاعات الضياء والنور البهي والوقار، وشذى عطره ينتشر في كل العوالم، ويُعتبر عنصر الإخصاب والتكاثر.

ولصنع إكليل الآس في المناسبات الدينية، يتم الحصول على غصن طري من شجيرة الآس، ويُنظَّف جزءه الأسفل من الأوراق، ويُشَّق بطريقة فنية إلى شطرين، ويُلفّ الشطر الأيمن ثلاث لفَّات على الشطر الأيسر الذي يُلفّ لفتين فقط ثم يُجدَّل على شكل حلقة الزواج.

وللآس رائحة طيبة، وما أنضر خضرة أوراقه التي ترمز إلى الخصب وديمومة الحياة، وهذا الإكليل معروف ومشهور في بلاد الرافدين عند الحضارات القديمة.

ويستخدم إكليل الآس لأغراض دينية عديدة أهمها:

أولاً- إكليل التعميد: وقد ذكرنا أن التعميد يعتبر ولادة جديدة للإنسان المتعمد - وقد شرحنا ذلك في حلقات سابقة - لأنه يرمز إلى غفران الخطايا، إذ أن هذا الإكليل المقدَّس يحيط المتعمد بعالم نوراني صغير يُبعد عنه الشرور والآثام ويعزله تمامًا عن عالم الظلام... ويعيش المتعمد وسط الماء الجاري في عالم يشع منه الضياء والنور والحياة الجديدة النقية الطاهرة.

ثانيًا- إكليل الدرفش: ويوضع هذا الإكليل في رأس الدرفش (راية يحيى).
ثالثًا- إكليل النزاهة والصدق: وهذا الإكليل يُجدَّل إلى نفس (النشمثا) رجال الدين الناصورائيين عند وفاتهم، حيث تستقبل رُسُل السلام نفوسهم الطاهرة

بعد الوفاة في عالم الأنوار، كما حدث لنفس نبي الله يحيى بن زكريا أثناء عروجه إلى عالم الأنوار برفقة جبرائيل (منداديهي رسول النور). ( مَنْ أحبَّ موتاه فليطلب لهم الرحمة، وأقيموا عليها الصلاة والتسبيح، وأقرأوا الابتهالات، وأقيموا مسقثا الرحمة من أجلها، عندئذٍ يسيرُ الضياءُ أمامها، ويأتي النورُ وراءها، ورُسُل الحي عن يمينها، وملائكةُ النورِ عن شمالها، فتنجوا من مطراثا ومن مراجلِ النار ).

رابعًا – إكليل الوفاة: عندما يحتضر الانسان ويصل مرحلة اليأس من الحياة الدنيا؛ يُظَّفر له هذا الإكليل وتجرى عليه الإجراءات الدينية، وحينما تقترب المنية من المحتضر يُوضع هذا الإكليل تحت العمامة بحيث تتدلى أوراقة على الجبهة، وهذا الإكليل بإشعاعه النوراني وبشذى أريجه يُبعد الأرواح الشريرة عن هذه النفس التي ترتقي إلى عالم الأنوار.

خامسًا– إكليل العروسين: يُزيَّن العروسين بهذا الإكليل كسِرٍّ من أسرار الاخصاب والتكاثر والرفاه والحياة البهيجة للزوجين لانشاء أسرة سعيدة.

سادسًا – إكليل الغرب: وهذا إكليل خاص يُجدَّل من أغصان شجرة الغرب التي تنمو على شواطئ دجلة والفرات، ويُوضع على أبواب البيوت بمناسبة عيد شوشيان الذي يكون فيه دعاء المؤمن مستجابًا، ويشبه تمامًا ليلة القدر.

سابعًا– إكليل المركنا: والمركنا عصا يُستحسن أن تكون من شجرة الزيتون الدائمة الخضرة، حيث تُوضع هذه الإكليلة في بداية المركنا لتنزلق عبرها إلى نهايتها، فتطفو على تيار الماء وتنساب في مجراه.

هذه فكرة سريعة مفيدة عن إكليل الآس المقدَّس، واردة من عدة مصادر.

* * *

# الحلقة الثامنة والثلاثون

# الباحث الدكتور يوسف حبي

الدكتور يوسف حبي شخصية ثقافية مسيحية عراقية مقتدرة، كان يشغل حينها عميد كلية بابل للدراسات الكهنوتية التي كانت تقع بدايةً في محلة الدورة، ثم نُقلت بعد أحداث عام ٢٠٠٣ إلى أربيل في محلة عين كاوا، كذلك كان هذا العالم الفذ والباحث المقدر عضوًا في المجمع العلمي العراقي.

كان الرجل يتردَّد على دار المعرفة في مندي الصابئة المندائيين في محلة القادسية، وله مناظرات ومحاضرات قيمة، وكان هذا العالم الجليل رحمه الله يعشق ترابط الماء والنور والحياة، وعندما طلبنا منه إلقاء محاضرة في هذا الخصوص رحَّب ولبَّى الطلب، وألقى محاضرة قيمة في قاعة المندي وسط تجمع جميل من المندائيين والمسيحيين وعدد من الأخوة المسلمين... وهذه مقتطفات من محاضرته القيمة.

**الماء، النور، الحياة في العقيدة المندائية:**

المندائيون طوال قرون عديدة وهم معروفون بفضل المندا...اي المعرفة الدينية وأنهم استطاعو الصمود في وجه كل التيارات وحافظوا على معتقدهم القديم الذي يرجع إلى أول جذور الإيمان في الأرض...

وأضاف: العلم يكشف أن جذور المعرفة وأصول الإيمان في العراق، ونجده في الديانة الأقدم (المندائية) وذلك باستجلاء العمق في هذه الديانة... ثم دعا المندائيين إلى التعمق والغور في نصوصهم المقدسة لاستجلاء وجه الله بمناسبة يوبيل عام ٢٠٠٠م، لأن الإنسان يمثل وجه الله لأنه خُلِق على مثاله وشبهه.

إن الماء (اليردنا) أقوى الرموز، لأنها ماء الحياة، وهي رمزية لها معانٍ كبيرة ومرتبطة مع النور والحياة... ثم قرأ نصوصًا لربط موضوع الماء بالنور والحياة

وهي نصوص من كتاب الكنزا ربا ذكرها العالم كورت رودلف في كتابه (النشوء والخلق) الذي ترجمه الدكتور صبيح عن الألمانية...

النص الأول: حينما كانت الثمرة داخل الثمرة والأثير داخل الأثير تكوَّن الماء ثم الحياة... إلى أخر النص.

والنص الثاني: من قبل أن تكون العوالم كانت الثمرة العظيمة داخل الثمرة العظيمة... إلى أخر النص.

ثم قال: الماء له ارتباط في عملية الخلق السومرية (اليوما اليليش) وهي موجودة أيضًا في العقيدة المندائية، وبتزاوج الماء العذب مع الماء المالح خُلِقت الحياة.

ثم أورد كلمات مندائية مثل الطماشة (السبح) والرشامة (الوضوء) والتعميد (الصباغة)، لأن الماء يعكس النور ويحافظ على الحياة، ولهذا فالمتعمد المندائي يلبس ملابس النور البيضاء (الرستة)، ثم أشار إلى عملية الخلق في التوراة وربطها بالنصوص العراقية القديمة كالبابلية التي جاءت بعد السومرية، والتي تشير إلى أن الإنسان خُلِق من مزج دم إله مع التراب، فالدم يرمز إلى النفس أو الحياة...

ثم أضاف أن الشفافية موجودة في النصوص المندائية لأن الماء من العناصر الأساسية في تكوين الحياة...

وقال بأن النور يوحي بالمعرفة والإشعاع التي تسمو بالإنسان إلى أقصى مدى، والمندائيون هم أبناء النور... ثم التفت إلى الحضور وقال بفخرً واعتزاز: (أيها المندائيون: يجب أن تكونوا جديرين بالحياة وأنتم جديرون بها فعلاً، لمحافظتكم على تراثكم ودينكم طيلة هذه العصور)... وختم حديثه قائلاً: (أنتم أبناء النور والماء والحياة، فكونوا دائمًا هكذا يا مندائيين).

رحم الله ربنا جميعًا الدكتور يوسف حبي وأدخله عالم الأنوار ليحيا حياة ثانية.

* * *

# الحلقة التاسعة والثلاثون

## الرستة

ورد في كتاب الكنز العظيم للصابئة المندائيين في تسبيح الوصايا: (يا أصفيائي: البسوا الأبيض، واكتسوا الأبيض، ألبسة الضياء وأردية النور... وتعمَّموا بعمائم بيض، وانتطقوا بأحزمة الماء الجاري التي ينتطق بها الأثريون...).

تعتبر الرستة عند الصابئة المندائيون الملابس الدينية، ويجب أن تكون بيضاء اللون بلون الضياء لأنها ترمز إلى النور والنظافة والطهارة، والرستة لباس التعميد الخاص الذي يلبسه المندائي عندما يصطبغ بالماء الجاري ليبدأ حياة جديدة نقية طاهرة، وهذا اللباس يُلبس كذلك عند مراسيم الزواج، والمفروض يلبسه الإنسان عندما يقوم بأي إجراء ديني، كذلك بعد عمر طويل يلبسوه أهله هذه الرستة ويسموها قماشي عندما تقترب ساعة الوفاة إذ يجب أن يطمش بماء نظيف ويلبس الرستة لترتقي نشمائته (نفسه) إلى خالقها في عالم الأنوار طاهرةً نقيةً، لأن الطاهر يخرج من الطاهر والنقي يخرج من النقي.

وتذكر لنا النصوص الدينية أن آدم وحواء عندما خلقهما الحي العظيم أمر الملائكة أن يزرعوا في قلبيهما الإيمان كي لا يغويهما الشيطان، وأمر الملاك مناداتهيي (رسول النور) أن يعلمهما الأسماء والوصايا كلها، وأن يلبسهم الرستة أسوةً بالملائكة الأثريين.

**وتتكون الرستة من سبع قطع من القماش الأبيض الناصع:**

١- القميص، والذي يجب أن يغطي الركبة.

٢- السروال، ويجب أن يكون فضفاضًا.

٣- التكة، وهو شريط من نفس القماش لتثبيت السروال.

٤- الدشة، عبارة عن قطعتين من نفس القماش لفتحة الصدر.

٥-النصيفة، وهي عبارة عن شريط من نفس القماش توضع على الكتفين ويثبت طرفاها بالهميانة (الحزام).

٦- الهميانة، وهي الحزام، مجوَّف منسوج من ستين خيط، وخيط آخر يسمى الراس، وبذلك يكون المجموع واحد وستون خيطًا من صوف ذكر الغنم الحي، وأحد طرفيها على شكل حلقة، والطرف الآخر له شراشيب، وهناك نظام لربطها على الخصر.

٧- العمامة، وهي عبارة عن قطعة قماش طويلة نوعًا ما، تُلفُّ على الرأس ثلاث مرات، ويترك أحد الطرفين سائبًا ليُستخدم لثامًا، ويسميها رجال الدين البنداما، يُغطَّى بها الفم والأنف، ثم تُدسُّ تحت العمامة من الجانب الأيمن.

هذه الرستة من حق أي مندائي أن يلبسها عند شعيرة التعميد، وفي تحضير طعام الغفران، وفي أي مناسبة دينية، ولكن رجل الدين لا يكتمل لباسه الديني إلا إذا لبس معها التاج (التاغة) وهو عبارة عن شريط من الحرير أو القطن دائري يثبت تحت العمامة على ان يكون اتصال الطرفين في منتصف الجبهة. كذلك يجب أن يلبس رجل الدين في الخنصر الشوم ياور (خاتم من الذهب) مكتوب عليه "شوم ياور زيوا" بمعنى الضياء العظيم. كذلك يتقلّد رجل الدين صولجان النور (المركنا) وهي عبارة عن عصا طويلة نوعًا ما من غصن من نبات الزيتون، وهذه الرموز الثلاثة (التاج، الخاتم، الصولجان) تمنح لرجل الدين بعد اجتيازه بنجاح تكريسه كرجل دين، وتُسمَّى (الطراصة) ولا يحق لكائن من يكون أن يسلبها منه، ولأي سبب كان.

هذا يدلنا على أهمية الرستة لأنها تمثِّل الضياء والماء، وبالتالي الحياة، لأن المتعمد يُمنح حياة جديدة بعد صباغته بالماء الجاري من قِبَل رجل الدين وهو لابس الرستة، البيضاء الناصعة.

# الحلقة الأربعون

# الماء الجاري (اليردنا)

قلنا إن الماء والضياء هما أصل الحياة وجوهرها، وأن كافة الطقوس الدينية التي يجريها الصابئة المندائيون يستلزم توفر جوهرا الحياة الماء والضياء، إذ بدونهما لا يجوز إجراء أي طقس ديني، وأن أهم هذه الطقوس الدينية لدى الصابئة المندائيين هي التعميد، بمعنى الصباغة، ودينيًا يطلقون عليها اسم المصبتا...

إذا نوى الفرد الصابئي المندائي التعميد فعليه أن يلتزم بما يلي:

أولاً: أن يلزِم نفسه وعن قناعة ؛ بالامتناع عن كل ما هو مشين من سلوك سيء، بمعنى أن يعلن مع ذاته التوبه الكاملة ويستغفر الله عن كل ذنوبه، وأن يرمي كل خطاياه خلف ظهره ويتخلص منها تمامًا، فكما يرمي ملابسه ويستبدلها بلبس الرستة الناصعة البياض، هكذا يجب أن تكون نفسه طاهرة نقية لاستقبال الماء الجاري والنور للطهارة والنقاء، إذ يتوجب عليه وبروح يملؤها الإيمان أن ينتقل من الحالة المادية إلى الحالة الروحية ليولد ولادة روحية من جديد.

ثانيًا: لا يجري التعميد إلا بوجود الماء الجاري والضياء، ولكن هنا يجب وجود راية النور؛ علم يهيا يهانا (نبي الله يحيى بن زكريا) مثبتًا على الشريعة قُرب الماء الجاري، وهذه الراية يُطلق عليها اسم "الدرفش" وتمثِّل راية النور والسلام والحق والحياة للإنسان المندائي في هذه الدنيا، وعلى المتعمد أن يمسك هذه الراية ويتبَّرك بها ويدور حولها لتمنحه بركة التعميد من الحي العظيم الله في عُلاه.

ثالثًا: على المتعمد أن يرتِّل رسم البراخة (الصلاة) قبل دخوله للماء، لأن الماء خُلِق بأمر الحي، ومن الماء كان البهاء والضياء، ومن الماء خُلِق كل شيء حي.

رابعًا: على المتعمد أن يغطس في الماء الجاري، وهذا الانغماس في الماء يعني الانقطاع عن الحياة، وعند الخروج من سطح الماء يعني انبثاق حياة جديدة للإنسان المتعمد بكل معانيها، بمعنى أن الحياة السابقة قد رحلت عنه بكل ذنوبها ومساوئها، واكتسب حياة جديدة طاهرة نقية، أي أنه وُلِد ولادة جديدة.

خامسًا: تعتبر جهة اليمين عند الصابئة المندائيين رمزًا للنور والخير والسعادة والهناء والصحة، أمَّا جهة اليسار فعكس ذلك تمامًا، فهي ترمز للشر والعصيان والظلام، ولهذا على المتعمد وبمساعدة رجل الدين أن يدور من الجانب الأيسر إلى الجانب الأيمن.

سادسًا: يكون رجل الدين عونًا ومساعدًا للمتعمد في كل مراحل الصباغة، لأنه مهما كانت قوة وقدراته ومناصبه فهو إنسان ضعيف تؤذيه بقة، وتنته عرقة، وتقتله شهقة، فهذا الإنسان يحتاج إلى المساعدة، وإيمانه وصباغته تمنحه القوة والثبات.

سابعًا: إن شرب المتعمد جرعة من الماء الجاري دلالة محبة وعطف وحنان خالقه عليه لتسري في عروقه وتمنحه الحياة الجديدة.

ثامنًا: إن تثبيت الإكليلة في عمامة المتعمد تعني منحه طاقة من نور إلهي مباركة من ملك النور السامي الله سبحانه، شبيهه ووريثه في الأرض الإنسان، والتي تمنحه الصحة والخصب والازدهار، لأنها تُجدل من نبات الآس الأخضر دائم الخضرة ذي الرائحة الطيبة.

وهناك رسوم وتفاصيل أخرى، ومن المهم للمطلع والباحث أن يحضر إلى الشريعة في أرض التعميد يوم الأحد أو في مناسبة دينية أو زواج مندائي ليرى بعينيه هذه المراسيم عمليًا وفق آليات تسلسلها وبالدقة المطلوبة، لأن شرحها بأدق التفاصيل سيطول كثيرًا، ولكن ما ذكرناه هو أهم المراسم الأساسية، مع إعطاء الرأس أهمية بالغة في الصباغة لأنه يحتوي على جميع الحواس التي تمثِّلها قطع الرستة، ولأن الرأس يحتوي على العقل (مانا) الذي يميِّز الإنسان على سائر المخلوقات على الأرض.

# الحلقة الحادية والأربعون

# حوار بين شاب مندائي والماء الجاري

أعجبني كثيرًا هذا الحوار الذي كتبه الأستاذ الفاضل الدكتور صباح فاضل الدهيسي مصوِّرًا لنا حوارًا جميلاً بين شاب مؤمن والماء الجاري، مما يدلُّ على خصب خيال الكاتب وإيمانه برسم التعميد الذي يعتبر العمود الرئيسي في أركان الدين الصابئي المندائي:

ملاحظة: (م) تعني الماء الجاري. (ش) تعني شاب مندائي

ذهب أحد المندائيين إلى شاطئ النهر، فخاطبه النهر قائلاً له:

م: من أنت أيها القادم نحوي؟

ش: أنا شاب مندائي.

م: ما اسمك ورسمك؟

ش: اسمي فلان، ولا أعرف ماذا تقصد بالرسم؟

م: اسمك الديني (أي ملواشتك)، والرسم هو ترسيم أعضاء الجسد بالماء الجاري (ماء الحياة – الرشاما – الوضوء).

ش: وهل للمندائي اسم غير اسمه الذي عُرِف به؟

م: نعم، الاسم الديني لمثيل الشخص المندائي في عالم النور (المي دنهورا)

ش: ومن أين لي بملوشة؟ وكيف أحصل عليها؟

م: من رجل الدين المندائي بعد الولادة وأثناء الصباغة، عندما يبلغ العمر ثلاثين يومًا.

ش: وإذا صبغت بماذا تنفعني هذه الصباغة؟

م: ستُكسى بغطاء من نور يحرسك من الأشرار وتُغفر لك أخطاؤك وتُصحّح منداليتك ويُسجل اسمك في سجلات النور لعالم النور (المي دنهورا).

ش: وهل هذا الكساء سيُسكنني القصور وأتناول أفخر الأطعمة؟

م: وما نفع القصور إذا لم تكن فيها حياة لأنها ستخوى وتزول مع مرور الزمن، وهل الأكل له طعم إذا لم تكن فيه بركة الحي العظيم.

ش: ومن أين أحصل على هذه البركة؟

م: من المصبتا (الصباغة) من رجل الدين الذي ينطق عليك اسم الحي العظيم وأسماء الملائكة الصالحين (مباركة أسماؤهم).

ش: لقد شوقتني إلى الصباغة، متى وفي أي يوم انالها؟

م: يوم الأحد (الهبشبا) المقدَّس، ستجد رجال الدين وستنالها.

ش: ليس باستطاعتي الانتظار عدة أيام حتى يحين يوم الأحد.

م: عندي لك حل وسط، ولكن يجب عليك أن تأتي يوم الأحد وتصطبغ.

ش: أخبرني بربك ما الحل الوسط؟

م: أن تدخل إليَّ وستكسب حياة جديدة غير ذلك الإنسان الذي عرفته.

ش: وماذا أقول؟ علِّمني أرجوك.

م: سأخبرك وردِّد من بعدي: باسم الحي العظيم، أنا أثبت بقوة الحي، وبقوة ماء الحياة الذي سيحتضنني، لأنزل إلى الماء الجاري وأصطبغ وأنال الرسم الطاهر، وألبس رداء النور، وأضع على رأسي إكليلاً متأنقًا، واسم الحي واسم خالق الحياة منطوقٌ عليه.

ش: والآن وقد ردَّت هذه الكلمات؛ فماذا سأفعل؟

م: أدخل إليه وليكن قلبك صافيًا ونيتك سليمة، ثم ردِّد هذه الكلمات واغطس بعدها في داخلي وسترى نفسك

ش: لماذا التردد؟ هيا أخبرني أرجوك ما هي الكلمات التي سأنطقها؟

م: ردِّد من بعدي: باسم الحي العظيم أنا (فلان بن فلانة) تعمدتُ بعماد بهرام العظيم من القدرة عمادي يحرسني ويرفعني إلى العُلا، اسم الحي العظيم منطوقٌ عليه.

ش: لقد ارتاحت نفسي الآن، وأُزيلت همومي، وأصبح جسمي خفيفًا، وروحي صافية نقية... شكرًا لك.

م: هذا هو عملي، فلا تنسى إن تثاقلت عليك مصاعب الحياة، والحي مُزكَّى.

* * *

# الحلقة الثانية والأربعون

# خلق آدم

العالم الذي يقف فيه الله ملك النور السامي، عالم لا زوال فيه.

عالم الضياء والنور الذي لا ظلام فيه.

عالم اللطف الذي لا عصيان فيه.

عالم الصلاح الذي لا اضطراب ولا خلل فيه.

عالم الأريج الذي لا رائحة كريهة فيه.

عالم الأريج الخالد الذي لا موت ولا فناء فيه.

عالم الماء الحي الذي شذاه يبهج الملائكة.

عالم الطيبة الذي لا خُبث فيه.

عالم الحق والإيمان الذي لا إفك ولا بهتان فيه.

عالم التقوى والخير الذي لا شرَّ فيه.

ولنطلع على كيفية خلق آدم رأس السلالة البشرية من الماء، وكيف وهب له الحي العظيم الحياة بإشعاعية الضياء التي يشعها.

(ليكن آدم، ملكًا للحياة الدنيا يكون) صوت نفذ من السماء وملأ الكون، إنه أمر الحيّ العظيم في ملكوته السني، ليظهر جمال الحياة، وبهاءها، وقوة وعظمة أسرارها، وروعة هذا الكون المذهل المحيِّر.

إنها إرادة الله في عُلاه، ليكون لهذا العالم معنى، وليكون للحياة حركة ومغزى.

(من التراب والطين الأحمر والدم والمرارة، ومن أسرار الكون؛ جُبِلَ آدم وحواء، وخُلقت فيهما نشماثا بقدرة ملك النور).

إن النشماثا (النفس) هي المغزى العظيم التي جعلت جسد آدم الطيني ينبض بالحياة ويتحرك ويتحول إلى لحم ودم وعظام، وعقل يدرك كل ما حوله، إنها نفحة أو نسمة من لدن الحي العظيم، دخلت جسد آدم فكان آدم الإنسان، لقد كان جميع الملائكة عاجزين، لأنهم لم يستطيعوا جعل آدم ينهض أو يتحرك، بعد أن صنعوه وصوروه من الطين كما أراد الرب، فقد كان لا نفس فيه، فما تحركت قدماه، وما انتصبت قامته، ولا انقبضت يداه، فاستعانوا بالأثير، وبوميض النار، وبكل بخار الأنهار، وبكل دخان النار (لعلَّ كفيه تنقبضان، لعلَّ جناحيه يخفقان) ولكنهم تعبوا، فقال الملائكة للملاك بثاهيل: (إذن لنا أن ننفخ فيه من روحنا... فمن ذلك البيت؛ من بيت الرب، أنت بها أتيت) فما استطاعوا أن يُنهضوا آدم، بعدها صعد الملاك بثاهيل إلى عليين (ومنحه الرب اسمًا حيًّا، به تكلَّم، وبعمامته الطاهرة، لَفَّ السر الأعظم بأطرافها لملمه وإلى بثاهيل سلَّمه).

لقد كان السِّرُ الأعظم هو النفس، إذ أمر الله الأثريين المنزهين، هيبل وشيتل وأنش، أن يهبطوا ويرافقوا النفس حُرَّاسًا عليها، وأمر تعالى في عُلاه (ليبق بثاهيل جاهلاً كيف تهبط النفس إلى البدن، وكيف تتخلل البدن الأنفاق، وكيف الدم فيها يتدفق)، (وحين بلغ بثاهيل الأرض ومن معه أتوا وتقرَّبوا إلى الجسد المُسجَّى. أراد أن يقذف النفس عليه فتناولها منه، أنا منداهيي، وأدخلتها في جسد آدم، وجعلته يتنفس الحياة، وامتلأتْ عِظامه بالمخ، ونطقت فيه إشعاعية الحي ففتح عينيه)... واتخذ الملاك منداهيي (جبريل الرسول) شكل آدمي كي لا يُخيف النفس أو يفزعها (أيتها النفس عليَّ ألا أخيفك ولا أُفزعك، ينبغي عليكِ ألا تفزعي وأنتِ في كسائكِ هذا، ولكي لا تفزعي ها أنا ذا أتخذ شكل آدمي).

وجلس الملاك منداهيي مشرقًا بجانبها، ونشر إشعاع الحي العظيم عليها، الإشعاع الذي انبثق منه آدم، رأس الذرية الحيَّة... لقد أمر الحي الأزلي تبارك في عُلاه (ليسجد ملائكة النار لآدم، لا يخالفون له قولاً، فسجدوا، إلا الشرير

فقد أبى، فأسره ربه أسرًا).

وأمر الربُّ منادهيي أن يعلِّم آدم، ليستنير قلبه، ويقوِّمه ليستنير عقله وجنانه: علِّمه وذريته الحكمة والمعرفة، كي لا يغويهم الشيطان، وعلِّمهم الصلاة ليسبِّحوا الله ثلاث مرات في النهار، علِّمهم الوصايا التي أمرتُك بها ليكونوا من المؤمنين، ليصعدوا ظافرين إلى بلد النور إذا ما فارقت نشماثا هذه الحياة الفانية.

جلس منادهيي إلى جانب آدم وعلَّم النفس بما أوصاه الحي العظيم (بصوت كالهديل؛ رتلتُ لها التراتيل، وأيقظتُ قلبها من سباته الطويل، قلتُ لها: أيها النفس تنهضين، والحي القدير تمجِّدين، وله تسجدين، سبِّحي لعليين، حيث يجلس الصالحون، ومجِّدي أدكاس زيوا؛ الأب الذي انبثق منه آدم).

لقد انتشرت المسرَّة وعمَّ الفرح أرجاء الكون، حين تدفَّق بالحياة والنشاط... هذا الغرس الطيب المبارك، الذي كان بأمر الله (ها أنا ذا يا آدمَ أمتلأ عطفًا عليك، ليكن لَكَ مقام بأمري، وذرية تسري، وماء يجري)... وأمر سبحانه: (حين يُتم آدم مهمته، يمكنه الصعود إلى موطنه؛ موطن النور، مع ادكاس زيوا أبيه ليكون ملكًا فيه).

عاش آدم ألف عام... قال الحي وهو مستوٍ على عرشه بين أنواره: (ليكن الموت من نصيب أهل الدنيا). فليخرج آدم من جسده قبل أن يشيخ، وقبل أن توهنه الأسقام... ونفذ الصوت: (نحن نُسميه الحق وأنتم تسمونه الموت).

هكذا كانت القدرة الإلهية الرائعة ومعجزته المشرقة في خلق هذا الكون، ومن ثم خلق آدم؛ رأس السلالة البشرية (مبارك أنتَ، ومسبِّح أنتَ إلى أبد الأبدين، بأمركَ كان كل شيء، وبأمرك خُلِق كل شيء).

* * *

# الحلقة الثالثة والأربعون

# بحر سوف العظيم

طالما توقفتُ كثيرًا وأنا أقرأ الكتب المقدَّسة للأديان السماوية عندما يرد ذكر بحر سوف العظيم، ولا يُذكر موقع هذا البحر في أي البلاد، فما يذكره لنا كتاب الصابئة المندائيون أنه بحر أو نهر سماوي يتوجب على النشماثا (النفس) بعد تركها الجسد الفاني أن تعبره أثناء عروجها إلى عالم الأنوار، أما في التوراة والإنجيل فهو مياه واسعة في الأرض... فعندما نقرأ في التوراة قصة عبور موسى واليهود في زمن الفراعنة أثناء هروبهم من ظلم الفرعون، وكيف أنهم تمكنوا من عبور بحر سوف العظيم عندما طاردهم جيش فرعون مصر، وكيف أن عصى موسى وبقدرة القادر شقَّت البحر لتصنع ممرًا آمنًا لموسى ومن معه، وعندما حاول الفرعون بجيشه الجرار اللحاق بهم لقتلهم؛ انطبقت مياه البحر على هذا الجيش وغرق الجميع، ونجا موسى ومن معه ووصلوا سالمين إلى طور سيناء... والقصة طويلة.

كذلك ورد في الأدب المندائي؛ وأعتقد ضمن الميثولوجيا المندائية؛ أنه كان هناك ملك اسمه "أردوان" له أخ اسمه "فروخ" هو من قاد المندائيين من أرض مصر عندما لاحقهم الفرعون، وعبر بهم بحر سوف ونجَّاهم من بطش الفرعون وجيشه...

لكن المشكلة أنه ليس هناك دليل قاطع، ولا توجد آثار أركلوجية تعزِّز حدوثها، لكنه المقدَّس ولأن الكتب الدينية المنزَّلة من الحي العظيم الله على أنبيائه كُتب مقدَّسة لكل المؤمنين، ولأن الإيمان يبعث الطمأنينة والسكينة في النفوس، فعلى كل المؤمنين الموحِّدين أن تُطمئن قلوبهم سماع هذه القصص التي وردتْ في الكتب المقدسة، فمثلاً الإيمان بوجود حياة ثانية

بعد الموت يعني أن الانسان يعيش حياتين، حياة هذه الدنيا وحياة ثانية تنتظره وهذا شيء جميل يسرُّ القلب ويزيد الإيمان بالمقدَّس، ويعزِّز الإيمان بأن الماء والضياء والحياة حلقات مترابطة.

* * *

# الحلقة الرابعة والأربعون

# هبشبا (يوم الأحد)

يوم الأحد عند الصابئة المندائيين له قدسية، إذ يعتبر هذا اليوم من الأيام المميزة، ويعني أول الأسبوع، وفيه تُقام جميع الشعائر والطقوس الدينية: (التعميد، الزواج، الطراصة، المسخثة، اللوفاني والصدقة).

وإذا أردت معرفة أهمية يوم الأحد؛ فما عليك إلا أن تذهب إلى أرض التعميد، أو تحضر زواجًا مندائيًا لترى الشعائر والطقوس وسياقاتها الجميلة المبدعة، وسترى عددًا من الذين يرغبون بالتعميد وكأنهم طيور النوارس منتشرين على شريعة الماء الجاري على ضفاف دجلة والفرات وروافدهما، أو على ضفاف الأنهار الجارية الأخرى في بلدان المهجر، أو في أحواض المياه الجارية المنتشرة في مدن العراق وإيران بشكل خاص.

في عدد من مدن العالم حيث ما توجد جالية للصابئة المندائيي؛ حيث يوجد المندي أي دار العبادة، وحيث يوجد المندي فلا بد من وجود حوض التعميد وخاصةً في فصل الشتاء في البلدان الباردة مثل السويد وكندا وفنلندا والدنمارك وألمانيا وغيرها من البلدان كضرورة.

ولكي أعطي يوم الأحد حقه أستعين بمقال للكنزبرا "سلوان شاكر عبد الكريم" سبق أن نشره؛ تشرح لنا أهمية وقدسية يوم الأحد الذي يشعُّ ضياءً من السماءً ونورًا منبثقًا من الماء لصيرورة الحياة...

**(هبشبا) يوم الأحد وأهميته عند المندائيين**

الأحد في اللغة العربية بمعني الواحد، أمَّا في المندائية (هبشبا) فهي مكونة من كلمتين: هاد وتعني واحد أو بداية، أما الثانية شبا فتعني سبعة، وبهذا يكون المعنى: أول الاسبوع أو بداية الأسبوع.

إن هذا اليوم مقدَّس عند الصابئة المندائيين، إنه رأس الأيام أو يوم الأيام، فيه انبثقت الصيحة الأولى، وأعلن فيه الربّ عن خلقه العظيم للكون الذي استمر ستة أيام، واستوى على العرش في اليوم السابع؛ كما جاء في الكتاب المقدس (كنزا ربا)، لذا اصبح هبشبا يومًا منفردًا يشع روعة وجلالاً مكرسًا لممارسة جميع الشعائر والطقوس الدينية من صباغة (تعميد) وعقد قران (زواج) ومسقته وطراسة (تكريس رجل الدين) ولوفاني (طعام الغفران) والصدقة...

من هنا توجب علينا أن نكِّن له أعلى درجات الاحترام، وأن نأتزر بشرف قدسيته، وأن نترك جميع الأعمال الدنيوية، فبممارسة الطقوس الرشامة الوضوء و(البراخة) الصلاة وبالصباغة؛ يزيل الحي الأزلي (هيي قدمايي) خطايانا وآثامنا، وينزع من قلوبنا الحقد والسوء، ويغرس فينا الصفاء والنقاء... فقد توعد الرب (مبارك اسمه) الذين لا يعظِّمون ولا يحترمون يوم الأحد بألا يكون لهم مكان في عالم النور(المه ونهورا) ولن يروا السيماء العظيم، وقد جاء ذكر ذلك في كتاب (تراتيل الرحمة) (نياني اد رهمي) في مقطع من بوثه هبشبا:

(هكذا تكلَّم العليم "مناهيي" قائلاً للمختارين الصادقين: تمسكوا بيوم الأحد المشرق الذي منحته لكم رسولاً ينوركم ويقومكم ويثبتكم ويجعلكم في العلا مسبحين مستغفرين لخطاياكم وذنوبكم متمسكين بالوقار العظيم... وتكلم العليم (مناهيي): كل من لا يعظِّم يوم الأحد سوف لا تُغفر أخطاؤه وذنوبه، ولن يكون له بين الأثريين (الملائكة) ولن يرى السيماء العظيم).

كما أن هناك نصًّا آخر يؤكد قدسية يوم الأحد، ألا وهو الكلام الذي نطقت به (مرياي) اليهودية التي انتمت إلى الدين المندائي حيث كانت تقدِّس الطقوس والشعائر اليهودية... فبعدما تسللت إلى اذنيها تراتيل الناصورائيين المندائيين أذهلتها وتغلغلت إلى أعماقها، فهجرت دينها وطقوسها وأبطلت قدسية يوم السبت وارتفع في قلبها ووجدانها نداء بحب يوم الأحد وشعت قدسيته في ضميرها، فتركت كل عمل دنيوي فيه لتتفرغ لممارسة الطقوس المندائية.

وهنالك ترنيمة تعتبر يوم الأحد يومًا لا يضاهيه أي يوم، به يتنور المؤمنون وتبتهج الأنُفس، ساعته ليست كساعات الأيام الأخرى، إنه البدء الأقدم للكون، يوم الحي الأزلي وصيحته الأولى.

* * *

# الحلقة الخامسة والأربعون

## الماء و الحياة

يعتبر الماء من جواهر الحياة المهمة، فلا حياة بدون ماء. ولهذا يقول المصريون: مصر هِبة النيل، بمعنى أنه لولا النيل لكانت مصر صحراء قاحلة لا حضارة ولا حياة فيها.

ويعتبر الماء من أبرز النِعم التي أنعم بها الخالق على خَلقهِ، وهو أحد أسرار الحياة، لأن الحياة أول ما خُلِقت في الماء.

ويعتبر العلماء أن الماء هو الحياة، إذ يغطي ٧١٪ من سطح الأرض، وأن نسبة ٩٥ ٪ من الماء موجودة في المحيطات والبحار، وأن القارة القطبية الجنوبية تحتوي على ٦١٪ من المياه العذبة، وأن الغيوم (السُّحب) تعكس الضياء على الأرض.

وتتوزع المياه بين البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات والأهوار والمستنقعات والمياه الجوفية وجليد المناطق القطبية، مع وجود نسبة من بخار الماء المعلق في الهواء على شكل غيوم أو هيئة ضباب أو ندى، وطبعًا هناك زخات مطر أو رذاذ جليد. وقد يستغرب القارئ إذا قلنا إن نسبة الماء في البحار والمحيطات يصل إلى أكثر من ٩٦ ٪، وأن نسبة الماء العذب بالمقارنة أقل من ٣٪ من الماء الموجود على الأرض التي نعيش عليها، وأغلب هذه النسبة موجودة في القطبين بحالة جليد، فتصوروا أن نسبة المياه العذبة المتوفرة في أنهار العالم والبحيرات بحدود ٠,٣٪ وهي نسبة جدًا قليلة إذا قورنت بكمية المياه الكُلية.

ومن المعروف أن هناك دورة للمياه تسمى الدورة المائية، والتي تعني تبخر الماء من المسطحات المائية الواسعة وصعوده إلى الأعالي للأجواء الباردة

حيث يتكثف ويهطل مطرًا أو رذاذًا أو بردًا، ويعود لهذه المسطحات والمياه الجوفية مرةً أخرى، لأنه كلما ارتفعنا كيلو متر واحد عن مستوى سطح البحر؛ انخفضت درجة الحرارة بمقدار ٦,٥ درجة لغاية أحد عشر كيلو متر حيث تستقر درجة الحرارة على ٦٥,٥ درجة مئوية.

لقد نشأت كل الحضارات الإنسانية عبر التاريخ على ضفاف الأنهار الجارية (اليردنا)، ومنها حضارة وادي الرافدين على دجلة والفرات، وحضارة الفراعنة في مصر على نهر النيل، وكذلك الحضارة الصينية على النهر الأصفر ونهر يانجستي، والحضارة الهندية على أنهار الغانج والهند والسند وبراهما بوترا.

فيزيائيًا، فإن كمية المياه على الأرض ثابتة بسبب دورة المياه في الطبيعة، إذ ربما أحدنا في يوم من الأيام يشرب بول الفرعون أخناتون، وبسب تكاثر البشر وثبات كمية المياه؛ حصل فقر مائي في كثير من البلدان، وحاليًا هناك مشكلة بين مصر والسودان وأثيوبيا على ماء النيل بسبب سَدّ النهضة الأثيوبي، وبسببه انخفضت حصة مصر من ٥٥ مليون متر مكعب إلى ٣٦ مليون متر مكعب، بينما نهر الكونغو في جمهورية الكونغو الإفريقية يصب حوالي مليار متر مكعب في المحيط الأطلسي. وهناك دراسات مستفيضة لربط نهر النيل بهذا النهر العظيم لإضافة مائة مليون متر مكعب إلى حوض النيل الذي يجري فيه ٨٤ مليون متر مكعب فقط، ولكن هناك مشاكل فنية معقدة لمروره بعدة بلدان قبل أن يصل مصر، وكذلك فرق الارتفاعات التي تصل إلى ١٠٠ لغاية ١١٠ متر، وهذا يتطلب لغرض رفع الماء على شكل مراحل جهود عظيمة وهندسة متقدمة ومحطات طاقة عملاقة وأموال طائلة.

ذكرنا في حلقات سابقه أن الماء موجود في الطبيعة بحالاته الثلاث، وهذا أحد أسباب وجود الحياة، لأن الأرض تملك مؤهلات نشوء الحياة لكونها تقع في مدار صالح للحياة في منظومتنا الشمسية، بحيث لو اقتربت الأرض من الشمس أو ابتعدت بمقدار ٥٪ من المسافة الحالية (٨ مليون كيلومتر) فإن الظروف التي تسمح للماء أن يكون بحالاته الثلاث؛ ستكون غير متوفرة، مما

يؤثر تأثيرًا بالغًا على وجود الحياة على هذا الكوكب.

وعن إمكانية وجود الماء في الكواكب الأخرى بحالته الغازية في غلافها الجوي، فالدراسات والبحوث تؤكد لنا أنه موجود ولكن بنسب بسيطة جدًا في الزهرة وعطارد وزحل وأورانوس والمريخ والمشتري والقمر. كذلك توجد المياه على هيئة جليد في الأرض وفي كواكب أخرى مثل المريخ، زحل، عطارد والقمر.

إن الماء ضروري لحياة النباتات بكل أنواعها وأشكالها، حيث يشكِّل ٩٠٪ من كتلة النبتة. ويمر ما نسبته ٩٧٪ من الماء الممتص من التربة عن طريق الخاصية الشعرية من التركيز المنخفض إلى التركيز العالي، وهذا أيضًا سر من أسرار الماء، لغرض إجراء عملية التبريد بواسطة التبخير، ويبقى في جسم النبته ما نسبته ٢٪ لنمو النبات، منها ١٪ لعمية التركيب الضوئي.

إذن الماء والضياء عنصران أساسيان لحياة النباتات، مثلما هما أساسيان للإنسان والحيوان، وبالتالي للحياة كلها.

وفي الحلقة القادمة سنتحدث باستفاضة أكثر عن النباتات وأهميتها لديمومة الحياة والعلاجات والاقتصاد.

* * *

# الحلقة السادسة والأربعون

## الماء والضياء وحياة النباتات

الماء والضياء عاملان مهمان في نمو المحاصيل الزراعية كافة، إذ تعتمد الخلية النباتية في نموها أساسًا على الماء لزيادة حجمها وهضم الغذاء.

وتمتص شبكة جذور النباتات بنظام الخاصية الشعرية مقدارًا من الماء من التربة إلى جميع أجزاء النبتة. ويحتاج النبات إلى الماء وكذلك الضوء لإتمام عملية التركيب الضوئي، وذلك لتحويل المواد الغذائية إلى سكريات، كذلك تحتاج النباتات إلى درجة حرارة مناسبة وتهوية لغرض صُنع الكاربوهيدرات والبروتينات التي تتوفر بشكل طبيعي في البيئة، أو إضافتها على شكل سماد.

وتمتص النباتات في ضوء النهار ثاني أوكسيد الكربون من الهواء، وتطرح الأوكسجين الضروري للحياة، وتنعكس الحالة في الليل، ولهذا لا يُنصح بوضع نباتات الظل في غرف النوم خوفًا من زيادة نسبة ثاني أوكسيد الكربون.

إن أهم العناصر الغذائية للنبات هي: النتروجين، البوتاسيوم، الفسفور والكالسيوم، وكل هذه المواد موجودة في التربة.

إذن الماء والضياء عاملان مهمان ليس فقط لحياة الإنسان والحيوان والكائنات الحية الأخرى، وإنما أيضًا عنصران حيويان لحياة النباتات التي تعتبر من الكائنات الحية، وللمعلومات حتى الجماد يحتوي على نسبة من الماء، فأقسى المواد الصلبة فيها نسبة من الماء؛ حتى المَّاس، وليس هناك جسم لا يحتوي على نسبة ولو بسيطة من الماء كما ذكرنا.

وللنباتات فؤاد جمَّة كغذاء وطاقة وزينة وتلطيف الجو وإنتاج الأوكسجين والمحافظة على المجال الحراري وعلى عوامل التبخر ودورة المياه في الطبيعة... كما لها فوائد علاجية كثيرة عبر التاريخ، فمن منا لم يسمع بطب

الأعشاب الذي يرجع للعصور الأولى من حياة الإنسان، إذ مازالت الصين والهند مثلاً ليومنا هذا يعالجون بالأعشاب، وحتى الفراعنة والسومريون والبابليون والآشوريون؛ كما تؤكّد لنا آثارهم. وهناك الكثير من العارفين بأسرار هذا النوع من الطب وكيفية العلاج بالأعشاب وإلى يومنا هذا، الله يرحم جداتنا... كذلك اشتهر حكماء الإغريق والرومان والعرب، فمن منا لا يعرف اسم ابن سيناء والرازي وغيرهم الكثيرون.

وقد انتشر هذا النوع من الطب في أنحاء العالم، وحتى في أوروبا، وكانت وما زالت هنالك صيدليات لهذا النوع من الطب الشعبي. ولقد برز عدد من الحكماء لعلاج الناس بالأعشاب وخاصة عندما انتشر مرض الملاريا على نطاق واسع، حيث كانوا يعالجون المرضى بغلي أوراق نبتة الكنين الشافية من هذا المرض. ومازال إلى عصرنا الحالي يُستحسن صنع الدواء من الأعشاب أفضل من المواد الكميائية، وكان الناس ومازالوا يردِّدون أن دواء الأعشاب إن لم يفيد فهو لن يُضر. ولكن مصانع الأدوية عمومًا تفضِّل صُنع الأدوية من المواد الكميائية للسرعة والسهولة ولجني أرباح طائلة، بينما الأعشاب متوفرة وتعالج الكثير من الأمراض، وهناك من المواد جمعها الله في عشبة واحدة تفيد في الشفاء من عدة أمراض. لكن وسائل الإعلام تشجع على الأدوية الكميائية وضرورة شراءها من الصيدلة، وعدم تصديق الخرافات والشعوذة. وحقيقي هناك عدد من المشعوذين يدَّعون كذبًا ودجلاً معرفتهم بالعلاج.

وإذا أُحسنَ استخدام الأعشاب كما شاهدت في الصين، فستكون موردًا اقتصاديًا عظيمًا ومواد غذائية شافية ومفيدة أفرزتها الخبرة والتجارب، وما أكثر النباتات الطبية في بلادنا العربية، حيث تتوفر ضياء أشعة الشمس والجو الدافئ والمياه العذبة والأرض الخصبة... ومن خلال إقامتي في أوربا صحيح كل شيء متوفر في هذه البلاد، لكنك لا تحس بطعم الخضرة والفاكهة مثلما تحسها في العراق من حيث الرائحة الطيبة والطعم الشهي واللون البراق وليونتها وسهولة هضمها، حتى الورود الجميلة الزاهية الألوان هنا في أوربا لا

عطر لها، بما في ذلك ورد الروز (الچوري)، بينما في بلادنا حيث الماء العذب والتربة وأشعة الشمس، فأنتَ تشم رائحة الروز من بعد أمتار.

مازال أهلنا في العراق والمغرب ومصر يستحسنون العلاج بطب الأعشاب، وهناك الكثير من العطَّارين المتمرسين من أهل الخبرة والعلم يتناقلون هذا النوع من الطب عبر الأجيال، وإني والله أفضِّل الذهاب إلى المجبرجي لإصلاح ضرر في الساق أو في الساعد بطريقة فنية تدل على الخبرة والدراية خير من الأدوية المهدئة للآلام أوإجراء عملية جراحية... إنها وجهة نظر من تجارب الحياة.

ونعود ونقول إن الماء والضياء والحياة حلقات مترابطة.

* * *

# الحلقة السابعة والأربعون

## الأنهار المقدسة عند المندائيين

ذكرنا من قبل أن النباتات هِبَّة الله في الأرض، ولولا الضياء والماء لما نبتت هذه النباتات المباركة. كما ذكرنا أن الأرض مُحاطة بشبكة عظيمة من المياه الجارية. وعمومًا فإن الماء يوجد تحت الأرض وفوق الأرض وبين الأرض والسماء.

في مناقشة بيني وبين الريشما صلاح جبوري الذي أُكنُّ له كل الحب والاحترام؛ حول موضوع الصباغة في النهر أو في الحوض، وأن الذين يعيشون في بلاد شديدة البرودة مثل السويد يعانون أشدَّ المعاناة في فصل الشتاء – وما أطوله – مما يجبرهم على التعمد في أحواض مدفأة... فأقرَّ الرجل ذلك على شرط سحب الماء لهذا الحوض من بئر من المياه الجوفية، وقال أنه مثلما توجد مياه فوق الأرض فهناك مياه تحت الأرض نقية جارية صالحة لمراسيم الصباغة، لأنه لا يفضل مياه الإسالة لأسباب عديدة، منها وجود مواد كيميائية لغرض التعقيم مثل الكلور وغيرها، ومنها أن الماء يمرّ بمواسير طويلة وتوصيلات متشعبة وضغوط عالية تُفقد الماء طاقته الإيجابية، كما أن هناك من يقول إن في صنابير ماء الإسالة يوجد مطاط صناعي مصنوع من مواد كميائية أيضًا... وهكذا.

كان الرجل رغم تشدده متفهمًا ويبذل قصارى جهده للتعاون، مع قناعته بأن الماء الجاري في الأنهار إذا توفر وكانت الظروف المناخية مهيأة؛ هو الأفضل دينيًا.

وأورد هنا مقالاً رائعًا لصديقي الدكتور الباحث "صباح خليل مال الله" عن الأنهار المقدَّسة، وهي سيلٌ فاعلٌ للبهاء الإلهي الذي يعكس الضياء.

**الأنهار المقدسة**

(اسبر أغوار نهر الروح... من أين جئت، وبأمر من؟ وبالرغم من أنك أصبحتَ عبدًا لهذا الجسد الفاني، قم وانهض مجددًا، واتبع النظام الذي منه انحدرت، وشارك في السبب المقدس).

غالبًا ما تظهر الأنهار في المعتقدات الدينية كرموز للنفوذ الإلهي والاتكال الحياتي... والأنهار تستحضر الطاقات العقلية والروحية، فأغلب المستويات المتعددة للحياة الكونية والفردية تربطنا بشكل صميمي بالمصدر الروحاني الذي يغذينا ويمدنا، وهي تتدفق دومًا لتوصلنا بكل الأشياء.

وقد استوعب القدامى ومنهم المصريون هذه الهبة الكونية فسمَّوا مصر "هبة النيل" ووهبوا له الصبايا الجميلات قرابين بشرية لإرضائه.

والأنهار المقدسة ليست مجرد تذكير أسطوري وبحقائق منسية، إنما تمثِّل دفق الوجود البشري: من نحن؟ وماذا نحن؟ وليست كينونة ساكنة أو جامدة، وإنما هي سيل فاعل للبهاء الإلهي... وقد وصفها الفلاسفة منذ القدم بأنها البذرة أو البيضة التي تحوي الخصب الكوني الذي يحبل به رحم الكون اللامتناهي زمكانيًا، ويُنظر لها على أنها ثمرة الأسلاف والأكوان السابقة المليئة بالحياة والذكاء والوعي. إذ من الطبيعي تخيل هذه البذرة اللامتناهية تنبثق في لحظة معينة لتتدفق نهرًا جارفًا من الطاقة غامرة الكون بـ(مياه) البهاء والألق، أي الفوضى البدائية التي نجم عنها خلق المجرات والمجاميع النجمية التي تحوي كواكب جنينية، مثل كوكبنا الأرضي.

وتقدِّم لنا قصيدة التكوين والخلق البابلية وصفًا دقيقًا مُدهشًا لانبثاق دجلة والفرات بسلسلة من أعمال قتالية بين عنصر الأنوثة (قيامات) وعنصر الذكورة (ابسو). وقد تمكَّن الإله (ايا) بتعويذة سحرية من تعطيل حركة (ابسو) وتجريده من شعاراته، ومن ثم قتله، بحيث لا يتحول إلى العدم بعد عملية القتل هذه، بل ليصبح العنصر الرطب، أي محيط المياه العذبة الباطنية، حيث يتخذ الاله (ايا) مقره، وعلى هذا يتم فيما بعد؛ من قِبل الإله

مردوخ؛ تكوين الأرض، إذ بعد اقتصاره على (أور) فأنه شطر جسمها الهائل إلى نصفين، ثم تناول نصفًا ورفعه ليجعل منه قبة السماء، وفي موضع كبدها أحدث المناطق السماوية العلوية التي كوَّن من قوة رأسها جبلاً وأخرج منه ينبوعًا، وفتح في عينها دجلة والفرات، كما أعد ردفها لإسناد السماء، وسقف نصفها الآخر لتدعيم الأرض.

وتروي لنا الأساطير أن الأنهار هي مظهر تكاملي للنظام البيئي الروحي العقلي الجسدي من خلال جريانها عبر العوالم الثلاثة الأرضية والسماوية والسفلية... ففي الأسطورة الهندوسية حول نهر الهند المقدس (الغانج) تمكننا من تخيل هذا النهر على أنه إلهة، حيث أنه الإلهة الأم (أم غانج) الواهبة للحياة، وهي الطاقة الأنثوية – الأمومية – الذكية العاقلة، وهي النهر الذي ينبع من إبهام قدم (فينشو) حيث ثقب بقدمه قبة السماء... وملايين الهندوس يأتون إلى معابر (الغانج) المقدَّسة للاغتسال وتطهير الأجساد المتعبة، وكثير من الذين يحتضرون يحتضنون ضفافها حتى الموت لتعبر أرواحهم نهر الحياة، باتجاه الخلود.

ووراء هذه الطقوس والرموز تكمن حكمة كونية ملهمة، أفكارها المركزية تعبِّر عنها بوضوح استثنائي (الثيوصوفية) المندائية. فمن البيئة المائية لأهوار دجلة والفرات، التي أسقطها الناصورايئون المندائيون أصحاب (الألف المعرفي) ظهرت أفكارهم التي ارتبطت ارتباطًا روحيًا وعضويًا بهذه المياه... إن (الكوزمولوجيا المندائية) تشير إلى الكينونة الأسمى (الحياة العُظمى) التي تُوصف بأنها غريبة منفردة (نخرا يي) بمعنى أنها بعقيدة لا يمكن فهم كينونتها لكونها تفوق الوصف، وبسبب غموضها وتجريدها فإن المندائيين يتكلمون عنها دومًا بصيغة الجمع الحيادي...

إن رمز الحياه العظيمة (هيي ربي) هو الماء الحي، الذي يسَّميه المندائيون (يردنا)، وهذه المفردة ربما أتت من كلمة (يردانو) السومرية، وهي العنصر الأساسي الذي ترتكز عليه طقوسهم، وعلى الخصوص (الصباغة) التي يجب

أن تتم في الماء الحي الجاري، ولا يجوز ارتماسهم في ماء تحيط به يابسة لأنه ماء وأكثر.

ويردنا هي تسمية المندائيين لكل نهرٍ جارٍ؛ أرضي كان أم سماوي؛ ويصرون على أنه ليس إشارة مباشرة لنهر الأردن. والمندائيون يعتقدون بأن نهر الحياة والنور يجري من نقطة واحدة (رحم) خفية لا يعرف سرها إلا الحياة العظمى، إلا أن أدعية معينة تقول بأن البهاء (زيوا) هو الذي يرفع حرارة هذا المركز التوليدي (الرحم) مسبِّبًا ذوبانه وجريانه من (مشكنته) أي من بيت الحياة (بيت هيي) أي الكون.

ومن هنا نستطيع الوصول لفهم أمثل لطقوس الصباغة المندائية التي هي التعبير المادي الأقصى لما يحدث في حياة المندائيين الفكرية والروحية، وهذا الارتماس في المياه الجارية التي تمثل (اليردنا) السماوية هو في الواقع للفعاليات الخلاقة لما يحدث في عالم النور (المي نهورا) فإن الطقوس التي تُسمَّى المصبتا تهدف إلى تنقية المرء، فإنه حيث يدخل في هذه المياه (مجازيًا) أسود يخرج منها أبيض، أي يدخل اليردنا نجسًا أو ملوثًا ليخرج منها نقيًا.

والماء الذي يعكس النور يعتبر شكلاً من أشكال النور، فالشخص المصطبغ حديثًا يعتبر مرتديًا حُلة النور، وفكرة أن الفلك مُلئ بضياء سائل والمياه شكل من أشكاله؛ تظهر في الاعتقاد بوجود الزوارق الفلكية التي رسمها المندائيون في منمنماتهم.

والماء مع ذلك ليس كله سائلاً سحريًا واهبًا للحياة، إذ أن جُزءًا واحدًا من التسعة أجزاء منه فقط هو الماء الروحُي الحيوي (ماء الحياة) الذي يُديم جسم الإنسان، وسائر الأجزاء الأخرى تُسمَّي (تاهمي) وهي السائل العديم الحياة الذي يجري باستمرار في طريقة إلى البحار المُرَّة، جارفًا معه فضلات ونجاسات الجسم البشري، في حين يقوم الماء الحي بأداء واجبه ثم يرتفع إلى السماء مرة أخرى، حيث اليردنا السماوية (فرات زيوا) أو الفرات النوراني...

إن المياه النجسة كلها تصب في بحر العالم القريب من عوالم الظلمات ذات المياه السوداء الداكنة جدًا التي تغلي وتفور وتلتوي، ومن يشرب منها يموت، ومن يخوض فيها يحترق، وما من أحد يطيق رائحتها باستثناء أولئك الذين خرجوا منها.

إن طقوس الاغتسال المندائية التي تُقام مصحوبة بأدعية وصلوات معينة؛ هي بمثابة احتفال ديني تجلب جميع خواص هذا الماء السماوي وتضعها موضع التطبيق وتجعل الذي يتناوله قادرًا على الاستفادة منه.

وهذه الآراء قديمة قِدمًا سحيقًا، وتشير إلى استمرارية الفكر والتقاليد، فمياه دجلة والفرات والكارون والزاب لها قدسية متساوية، لأنها جميعا تحتوي على هذا الجزء السحري من الماء، (ميا هيي) أو ماء الحياة.

واليردنا هي العلامة الخاصة بالمندائيين، وبدونها لا تتم مراسيم طقوس الصباغة، والنص التالي يعبِّر عن ذلك:

(إن علامتي هي اليردنا العُظمى، الماء الحي الذي لا يستطيع إنسان إن يحصل عليه وحده... إن اسم الحياة واسم منداهيي منطوقان عليَّ).

إن ولادة الماء الحي وفق نظرية الخلق المندائية، لم تأتِ هينة يسيرة، بل مرَّت بمخاضات عسيرة، ومنذ أن حدَّدت الكينونة العُظمى لحظة البدء التي نشأت منها الأكوان والسماوات التي امتدَّت اتساعًا فيها النجوم وهي تبزغ فتومض متلألئة، وكان هناك مياه وحرارة روحية وحرارة آكلة في السماء ذات النجوم المنتشرة... والملاك (بتاهيل) الذي كُلِّف بالخلق بأمر من الحي العظيم يزرع هذه الأكوان يريد لها فكاكًا من الظلمات والنيران الآكلة التي تلقاها وقد صاغ النار من الثمرة والشجرة والكرمة، ومن هذه النار الحية خُلِقت المياه الحية في دار الحياة، ثم أتى بها (بتاهيل) إلى الأرض (تيبل)، ولكن هذه الحرارة الحية تغيَّرت، فغدا الماء بيده بدون لمعان، وقد حاول (بتاهيل) كل شيء غير أن الماء لم يعد عذبًا حلو المذاق، فأمرت الحياة العُظمى (منداهيي) أن يمضي إلى قمة الماء ليسحب جرعة خفيفة من الماء الجاري الحي ويتركها تجري حتى

تسقط أخيرًا في الماء العكر وتنساب معه، وعند ذلك الصباح أصبح الماء حلوًا فشرب منه بنو ادم فغدوا شبيهين بالحياة.

إن الماء الحي هو النهر المندائي المقدَّس نهر (برياويس) الذي ينبع من بوابة الشمال من تحت عرش الحياة الكُبرى، عبر مياه الظلمات التي تحيط بـ(تيبل) من حدب وصوب، إذ أنه ليس في وسع قُوى الظلام أن تقطع جريان الماء الحي إلى النهر المقدس (يردنا) المتصل بمقام النور.

* * *

# الحلقة الثامنة والأربعون

# الماء وأنهار العالم المهمة

لأن عنوان هذا الكتاب: الماء - الضياء - الحياة... حلقات مترابطة... كان من الضروري أن نخصِّص حلقة لأهم أنهار العالم، أطولها وأغزرها بالمياه الجارية العذبة، لكون الماء جوهرة من جواهر الحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾، فلولا الماء لغدت الأرض صحراء قاحلة لا حياة فيها، لا زرع ولا ضرع. لهذا يقول المصريون القدماء إن مصر هبة النيل، فلولا نهر النيل لا وجود لمصر ولا وجود لحضارة الفراعنة.

سبق أن ذكرنا أن الكرة الأرضية مُحاطة بشبكة واسعة من الأنهار تغذِّي البحار والمحيطات بالماء العذب، ولولا سعة سطوح هذه البحار والمحيطات وعوامل التبخر الكبيرة والمستمرة لما كانت هنالك ملوحة في هذه المياه لأن المصدر عذب، ولكن هذه حكمة الله أن يكون في الأرض مياه عذبة ومياه مالحة لديمومة الحياة مثل الضياء والظلام ومثل الخير والشر ومثل الرجل والمرأة... وهكذا.

نحن عرفنا دجلة والفرات وكارون وشط العرب ونهر النيل ونهر الأردن وبردى والعاصي، ولكن هناك في الكرة الأرضية أنهار أطول وأغزر من هذه الأنهار، تجري فيها كميات هائلة من المياه... لنتعرف في هذه الحلقة على أهمها وحسب طولها:

١. نهر النيل... وهو ملتقى نهرين، هما النيل الأبيض الذي ينبع من بحيرة فيكتوريا، والنيل الأزرق الذي ينبع من بحيرة تانا في أثيوبيا، يلتقيان في الخرطوم ويتجهان شمالاً إلى مصر، ويصبُّ نهر النيل في البحر الأبيض المتوسط... يبلغ طوله ٦٦٥٠ كم. ويغذي حوض النيل إحدى عشر دولة هي: (بروندي، رواندا،

تنزانيا، كينيا، الكونغو، أوغندا، أثيوبيا، آرتريا، السودان، ومصر)... وتنساب مياهه من الجنوب إلى الشمال. وكمية المياه في حوض النيل بحدود أربعة وثمانين مليار متر مكعب، حصة الأسد لمصر، ولهذا تعتبر كمية المياه في نهر النيل قليلة مقارنةً بنهر الكونغو مثلاً.

٢. نهر الأمازون... ثاني أطول نهر في العالم إذ يبلغ طوله بحدود ٦٥٧٥كم... يقع في أمريكا اللاتينية ويغذِّي دول عديدة أهمها: البرازيل، بيرو، كولومبيا، الإكوادور، وبوليفيا... ينبع من جبال الإنديز ويصب في المحيط الأطلسي، إذ أن ٢٠٪ من مياه العالم ينقلها هذا النهر العظيم إلى المحيط وبمعدل ٣٠٠,٠٠٠ متر مكعب في الثانية. ويعتبر حوض الأمازون وغابات الأمازون المطيرة التي لا تقدر بثمن موطنًا لأكثر من أربعين ألف نوع من النباتات و ألفين نوع من الأسماك، وأكثر من أربعمائة نوع من الثدييات والبرمائيات على حد سواء، بجانب الزواحف.

٣. نهر يانجستي في الصين... طوله يبلغ ٦٣٠٠ كم، ينبع من هضبة التبت ويصب في بحر الصين، ويعتبر شريانًا رئيسًا للزراعة والصناعة والمواصلات في الصين إذ يربط شرقها بغربها... وتتواجد على ضفتيّ النهر أخصب الأراضي الزراعية.

٤. النهر الأصفر في الصين... يبلغ طوله ٥٤٥٤ كم، ينبع من جبال البيانكالا في غرب الصين ويصبُّ في بحر بوهاي، ويعتبر عصب الحياة الزراعية والصناعية في الصين... وقد نشأت على ضفافه أقدم الحضارات الصينية.

٥. نهر بارانا... يبلغ طول هذا النهر ٤٤٩٨ كم تقريبًا، وينبع من البرازيل ويصب في المحيط الأطلسي، ويغذي دول عديدة أهمها: البرازيل والأرجنتين والبارغواي... وتمَّ انشاء أكبر السدود على هذا النهر لإنتاج الطاقة الكهربائية، إذ يُعتبر شريان الحياة لملايين من الناس، لكونه غني بالموارد الزراعية والحيوانات المائية وأهمها الأسماك المتنوعة، ومصدرًا مهمًا لتربية الماشية على ضفتيه لتوفر المراعي الشاسعة والغنية بالنباتات.

٦. نهر الكونغو... يبلغ طول هذا النهر ٤٣٧٠ كم، ينبع من جنوب شرق الكونغو ويصب في المحيط الأطلسي، ويعتبر ثاني أكبر نهر تدفقًا وغزارةً في العالم بعد نهر الأمازون، إذ يصبُّ هذا النهر العظيم كميات هائلة من الماء العذب في المحيط تقدَّر بأكثر من ترليون متر مكعب، ولهذا النهر قوة جريان عالية بحيث تسير المياه العذبة داخل المحيط لمسافة أكثر من ثلاثين كيلو متر... ويغذي هذا النهر الكونغو والكاميرون وأفريقيا الوسطى والجابون وغينيا... ويعتبر من الأنهار الغنية بالموارد السمكية الهائلة، وتكثر على ضفتيه المروج الشاسعة... هذا النهر مياهه أغزر من مياه النيل بخمسة عشر مرة وأكثر، وبسبب هذه الوفرة العالية من المياه وفقر حوض النيل بالمقارنة، ولوجود مشكلات حاليًا قد تصل إلى حرب طاحنة بين مصر وأثيوبيا بسبب بناء أثيوبيا سد النهضة الذي يقلِّص حصة مصر من المياه من ٥٥ مليار متر مكعب إلى حدود ٣٦ مليار متر مكعب... وهناك دراسات لربط نهر الكونغو بنهر النيل لإمداد حوض النيل بمائة مليار متر مكعب تقريبًا لحل هذه المشكلة، مقابل أن تبني مصر مشاريع ضخمة لإنتاج الطاقة الكهربائية لرفع هذه الكمية من المياه أولاً، وتزويد الكونغو بما تحتاجه من الطاقة الكهربائية... ولكن هناك صعوبات فنية بسبب تفاوت مستوى الارتفاع يتطلب رفع المياه لأكثر من مائة متر، وهذا بحد ذاته يحتاج إلى إمكانات هندسية هائلة وطاقة كهربائية كبيرة وإمكانات مادية ضخمة وزمن طويل.

طبعًا هناك أنهار كثيرة وكبيرة في العالم مثل (نهر آمور في روسيا، نهر أوبي في صربيا وروسيا، نهر ينيسي في منغوليا وسيبريا، نهر ميزوري ونهر الغانج والسند، ونهر براهما بوترا والكارون والفولغا والسين، التايمز، كاما، اوكا، بيلايا، الدانوب،الاورال، الدنيبر، الدون، ونهر الأردن، وغيرها الكثير الكثير) من بالغ الصعوبة تغطيتها في حلقة واحدة، ولهذا مررنا على ذكرها مرور الكرام... ونرى من واجبنا التركيز على نهري دجلة والفرات؛ نهري العراق الخالدين اللذين نشأت على ضفافهما أقدم الحضارات (السومريون، الأكديون، البابليون، الآشوريون، وحضارة الدولة العباسية وعاصمتها بغداد)، واللذين ارتوينا من

مائهما العذب الزلال وأكلنا من خيراتهما...

- نهر دجلة: يبلغ طوله ١٧١٨ كم... ينبع من تركيا ويجري في العراق جريانًا سريعًا ليلتقي مع نهر الفرات في منطقة "كرمة علي" في مدينة البصرة جنوب العراق ليشكّلا شط العرب الذي يصبُّ في الخليج العربي... ولهذا النهر روافد عديدة، منها: الخابور، الزاب الكبير، الزاب الصغير، العظيم وديالى... يُسمَّى هذا النهر بـ"دجلة الخير" لانتشار الأراضي الخصبة والبساتين على ضفتيه... ولقد ازدهرت الحضارة الآشورية في نينوى والحضارة العباسية في بغداد على ضفاف هذا النهر الخالد.

- نهر الفرات: يبلغ طول نهر الفرات ٢٨٠٠كم، وينبع من جبال طوروس في تركيا، ويعبر الأراضي السورية ليجري في الأراضي العراقية من الغرب إلى الجنوب حتى يلتقي بنهر دجلة؛ سابقًا في منطقة "القرنة" وحاليًا في منطقة "كرمة علي" في مدينة البصرة... ويشكّلان شطَّ العرب الذي يصبُّ في الخليج العربي... تنتشرعلى ضفافه الأراضي الخصبة والمزارع والمراعي، وهذا النهر من الأنهار الغنية بمواردها، ويعتبر من أهم الأنهار في الوطن العربي مع نهر النيل الذي يجري في مصر والسودان.

يُطلق على العراق "بلاد ما بين النهرين" أو "بلاد وادي الرافدين" إشارة لنهريّ دجلة والفرات... لقد ازدهرت على ضفاف هذا النهر الخالد أولى الحضارات الإنسانية كالحضارة السومرية والآكدية والبابلية.

- شط العرب: يبلغ طول شط العرب ١٩٠ كم، ويتشكل من التقاء نهريّ دجلة والفرات في منطقة "كرمة علي" في مدينة البصرة في جنوب العراق، ويصبُّ في الخليج العربي عند مدينة الفاو... تنتشر على ضفاف هذا النهر بساتين النخيل الشاسعة التي تحمل خير الله من أجود أنواع التمور في العالم، والتي يتم ريُّها بواسطة المد والجزر... ويعتبر هذا النهر صالح للملاحة لعرضه وعُمقه... ويشكّل هذا النهر حدودًا فاصلة بين العراق وإيران في الجنوب، وهناك مشكلات بين العراق وإيران على مياه هذا النهر العراقي العربي، حيث

كان يصبُّ في شط العرب نهر الكارون القادم من إيران، ولكن الإيرانيون حوَّلوا مجرى هذا النهر المهم.

من كل ما ورد في أعلاه يتضح لنا أن كُرتنا الأرضية محاطة بشبكة عظيمة من الأنهار الجارية، التي تختلف بطولها وبغزارة مياهها، والتي منها تشكَّلت البحار والمحيطات والأهوار والبحيرات والمستنقعات في عموم العالم، إذ يغطي الماء ثلاثة أرباع الكُرة الأرضية والتي ينعكس على صفحاته الضياء العظيم نور الله... والضياء والماء كوَّنا الحياة على هذه الأرض المباركة، وكما ذكرنا سابقًا مثلما وُجِد مياه فوق الأرض؛ هناك مياه وأنهار وبحيرات تحت الأرض تُسمَّى المياه الجوفية... وهناك مياه بين السماء والأرض ممثلة بالغيوم المحملة ببخار الماء والأمطار التي تروي الزرع والضرع وتمد الأنهار والبحار بالماء العذب. وهذه هي مصادر المياه التي تمثِّل مع الضياء جوهرتا الحياة التي حباها الله سبحانه للإنسان والحيوان والنبات وكل شيء حي، إذ لا يوجد في الكون شيء خالٍ من الماء بشكل أو آخر...

والغريب بالأمر أن أي مادة مثلاً لا يوجد في تركيبها نسبة من الماء؛ لا يمكن أن تشتعل... وقد كتبنا كثيرًا عن الماء في حلقات هذا الكتاب، وذكرنا أن الماء الحيَّ يحس ويرى وله ذاكرة عظيمة ويتأثر بكل ما هو إيجابي مثل الضياء والموسيقى والغناء والحب والهدوء، وينزعج من كل ما هو سلبي مثل الصخب والضجيج والكراهية والظلام... ويعتبر الماء عِلة العِلل، وهو الوحيد الذي يوجد في الطبيعة بثلاث حالات: سائلة وجامدة وغازية.

هذه معلومات عامَّة ومفيدة عن الماء ومصادره، وعن شبكة أنهار العالم المهمة التي من بالغ الصعوبة تغطيتها بشكل واسع ودقيق، لكثرة الأنهار، حتى أن هناك أنهار تظهر في فصل الشتاء والأمطار وتختفي في فصل الصيف والجفاف... إنها الطبيعة، وإنها حكمة الله في الأرض.

* * *

# الحلقة التاسعة والأربعون

## الضياء و مصادره

ذكرنا أن الضياء من أهم جواهر الحياة... وسنستعرض في هذه الحلقة معلومات مختصرة جدًا عن هذه النعمة الفضيلة التي وهبنا إياها ملك النور السامي الحي العظيم الله سبحانه...

يذكر لنا الكتاب المقدَّس للصابئة المندائيين أن الحياة تكوَّنت من الماء والضياء بقدرة ملك النور السامي، وأن الماء الحيّ خُلِق أصلاً في عالم الأنوار، وبعد عالم الأنوار خُلِقتْ الحياة، ومن الحياة جاء الماء الحيُّ الجاري، ومنه جاء البهاء، ومن البهاء جاء الضياء... إذن فالماء والضياء والحياة حالة واحدة متداخلة.

ومن طريف ما يُذكر أن أتباع الدين الزرادشتي يعبدون النار مع الشمس... ولكن الحقيقة أنهم يقدِّسون الضياء الذي تبعثه الشمس والضياء التي تعطيه النار... ولأن الشمس تغرب؛ فلابد من وجود ضياء، فيجب الاستعانة بالنار... ولهذا تجد معابدهم فيها شعلة متوهجة من النار دائمة الاشتعال، تمنحهم الضوء و تضيء أماكن عبادتهم.

كذلك قرأتُ أنه بعد أن قامت أمريكا بضرب المدن اليابانية هيروشيما ونكازاكي في شهر آب من عام ١٩٤٥ مع نهاية الحرب العالمية الثانية؛ ذهب صانع القنبلة الذرية العالم الفيزيائي الألماني الأصل "روبرت أوبنهايمر" برفقة العالم الفيزيائي الفذ "أينشتاين" إلى الرئيس الأمريكي في ذلك الزمان "هاري ترومان" وحذَّراه من مغبة استخدام هذه القنابل لأنها تصدر إشعاعات حرارية ذرية مدمِّرة، وينتج عنها هالة ذرية عظيمة تحجب الشمس عن الكُرة الأرضية لفترة أسابيع وشهور، فتحرم الكرة الأرضية من الضياء والحرارة، وبالتالي تموت

كل الكائنات الحية وتنتهي الحياة على الأرض.

الموضوع طويل ومعقد، ويشمل كلاً من الجانب الروحاني والجانب العلمي.

ولو أخذنا لمحة سريعة على الجانب العلمي باعتبار الشمس أهم مصدر للضياء والحرارة، بمعنى أهم مصدر للطاقة، إذ يمكن تحويلها إلى طاقة كهربائية، ورغم تعدد مصادر الطاقة التي أهمها:

١. الوقود المتوفر تحت الأرض من نفط وغاز وفحم حجري.
٢. المصادر الميكانيكية، مثل الشلالات والسدود وظاهرة المد والجزر والرياح.
٣. الطاقة الحرارية الجوفية.
٤. طاقة الكتل الحيوية (المخلفات الحيوية عند تخميرها للحصول على غاز الميثان).
٥. غاز الهيدروجين، لكونه يمثل نوعًا من الوقود.
٦. الطاقة النووية التي تنتج عن الانشطار النووي، ويستفاد منها في توليد الطاقة الكهربائية وتسيير السفن العملاقة والغواصات، بالرغم من محاذير انتاجها.

وما يهمنا في هذه الحلقة من كل ما تقدَّم؛ الضياء، لأن كل مصادر الطاقة التي ذكرناها تولِّد لنا الضياء، وسنركِّز على الشمس لكونها مصدر الضياء العظيم في الكون.

ولهذا علينا فهم بعض المعلومات البسيطة عن النظام الشمسي، والذي يضم الشمس وكل ما يدور حولها من أجرام.

ولأن الشمس هي التي تشعُّ الضياء والحرارة اللذين يجعلان الحياة على الأرض ممكنه بوجود الماء الجاري.

والضياء هو مقدار الطاقة الإشعاعية التي تبعثها الشمس في الثانية الواحدة، إذ تُعتبر الشمس جسم ملتهب يصدر الضياء والحرارة، ولذلك

الشمس تعطي الضياء، بينما القمر فهو جسم بارد لا يصدر منه الضياء، بل يعكسه على شكل نور.

يعتبر الضياء هو الجزء المرئي من الطاقة الكهرومغناطيسية، أي الطيف المرئي من مجموعة أطياف الطاقة الكهرومغناطيسية المنطلقة من الشمس والمعروف باسم "ضوء الشمس".

بناءً على ذلك فالضوء عبارة عن تيار من الفوتونات المنطلقة من جسم مشتعل ملتهب متوقد بذاتهِ، سواء كان ذلك بفعل عملية الاندماج النووي كما هو حادث في الشمس... وعلى هذا الأساس فإن مصادر الضوء هي أجسام مادية لها حشد هائل من الجسيمات الأولية المستثارة بواسطة رفع درجة الحرارة للإلكترونات وغيرها من اللبنات الأولية للمادة.

لقد ذكرنا أن أهم مصادر الضياء بالنسبة لنا نحن أهل الأرض هو: الشمس، ووقودها هو عملية الاندماج النووي.

أمَّا المصابيح الكهربائية فهي تُنتج الضياء بواسطة تسخين سلك من معادن الإشعاع، وكلما ارتفعت درجة حرارته؛ زادت كمية الضياء المشِّع وارتفعت معدلات تردد موجاته، وبالطريقة نفسها يحترق فتيل السراج (اللالة) بإشعاله بواسطة احتراق الزيت أو النفط أو الكحول.

وعمومًا فإن ضوء الشمس عند مروره في الغلاف الغازي للأرض وبسبب تعرضه للامتصاص والتشتت والانعكاس بسبب الغبار وبخار الماء وجزيئات الهواء في الجو؛ يظهر لنا بهذا اللون الأبيض الجميل الذي نراه في النهار، والذي ينير المعمورة كنعمة فضيلة من نِعم الله سبحانه على خَلقه من البشر ومن زرع وضرع وحياة...

ولهذا عنوان كتابنا أن الماء والضياء والحياة حلقات مترابطة لديمومة هذا الكون، وديمومة الحياة وجواهرها: الماء والضياء.

* * *

# الحلقة الخمسون

# ماذا لو انطفأت الشمس؟

ذكرنا أن الشمس أهم مصدر من مصادر الطاقة، وهي مصدر الضياء الأساسي الذي هو جوهر مهم من جواهر الحياة على هذا الكوكب، وهذا الضياء وانعكاسه النور مع الماء يشكِّلان عناصر الحياة وجواهرها، ولهما مكملات أساسية مثل الأوكسجين والغازات الأخرى والحرارة المعتدلة والمعادن والتربة لتنمو النباتات وتحيا الكائنات.

فلو فرضنا نضوب طاقة الشمس بعد ردحٍ من الزمن وانطفاءها، فهل سيكون هناك حياة على هذا الكوكب ؟

وللإجابة على هذا السؤال نورد مقالاً مهمًا بعنوان "الوقائع المأساوية لموت الشمس" للدكتور ميشيا حنا، والمنشور في مجلة آفاق مندائية الغراء، العدد ٤٢، ٤٣ سنة ٢٠٠٠م.

**الوقائع المأساوية لموت الشمس**

يبلغ عمر الشمس ٤,٥٧ مليار سنة، وهذا يعني أنها في منتصف عمرها الافتراضي، وللشمس قدرة على تحويل أربعة ملايين طن من مادتها إلى طاقة في كل ثانية، وذلك بتحويل الهيدروجين إلى هيليوم. ويعتقد الفلكيون بحساباتهم الرياضية أن الشمس سوف تستمر مليار سنة بعدها تبدأ بالانهيار ثم الانطفاء، ولكن قبل أن يحدث ذلك تحدث متغيرات لعدد من الكواكب، ومنها المريخ وزحل ونبتون وبلوتو، ولكن هذه المتغيرات ستحدث بعد عشرين مليون سنة.

وهناك سلسلة أحداث ضمن جدول زمني افتراضي لأحداث متوقعة لمجموعتنا الشمسية، إذ بعد ٢,١ لغاية ٥,٣ سنة؛ ستشيخ الشمس وتزداد

بريقًا بنسبة ١٠٪ كل مليار سنة، بمعنى أنه سيزداد مستوى إشعاعها، وهذا ما يؤثر على الحياة في الأرض بشكل تدريجي، إلى أن تفنى الحياة... وتصبح الحياة ممكنة في البداية في أعماق المحيطات، وعندما تصبح ظروف الأرض مشابهة لظروف كوكب الزهرة؛ ستبدأ مياه المحيطات بالغليان، فتصبح كل أنواع الحياة مستحيلة... وبسبب هذا الارتفاع العالي في درجات الحرارة تفقد الأرض غلافها الجوي، كذلك وكتحصيل حاصل ترتفع درجات حرارة كوكب المريخ فيذوب الجليد عند القطبين، فتصبح الحياة ممكنة في هذا الكوكب لتوفر الماء والضياء والجو المعتدل ومقومات الحياة، ولكن كل ذلك سيحدث بعد ٤,١ لغاية ٥,٢ مليار سنة.

ويقول الفلكيون إنه بعد خمسة مليارات سنة سينفذ الهيدروجين من قلب الشمس، فتبدأ بالاعتماد على الهيدروجين الأقل كثافة الموجود على السطح، مما يؤدي إلى تمدد الشمس وتضخمها لأكثر من ثمانين ضعف قُطرها، لتصل إلى ما يُسمى بالعملاق الأحمر، وستبدأ حرارتها بالانخفاض وتقل جاذبيتها، حيث أنها فقدت ٢٨٪ من كُتلتها، وسيكون سطح الأرض عبارة عن طين ساخن... في هذا الوقت ستكون أقمار المشتري وزحل قد سخنت بما فيه الكفاية لإذابة ثلوجها المتجمدة وتصبح صالحة للحياة، أما الشمس ستنفصل عنها الطبقة الخارجية وتتحول إلى سديم وهنا تنطلق منها رياح شمسية عاتية، وتتحول الشمس إلى قزم لأنها فقدت نصف كتلتها، فتبدو كنقطة ضوء حالها حال الكواكب الأخرى مثل الزهرة، ولكن ضوؤها سيكون مركزًا وعاليًا... وبسبب قلة جاذبيتها ستبتعد عنها الكواكب الأخرى، أي أن الكواكب ستدور في مدارات أخرى بعيدة عن الشمس، ولهذا ستتجمد هذه الكواكب، وسيتحول الكربون الموجود في قلب الشمس إلى حالة كريستال، أي ستتحول الشمس إلى ماسة عظيمة.

* * *

# المؤلف في سطور

- الدكتور بشير عبد الواحد يوسف.
- وُلِد في مدينة العمارة (محافظة ميسان) في ١٢ – ٨ – ١٩٤٣م وانتقل مع أهله في نفس العام إلى مدينة البصرة وأكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في مدارسها.
- حصل على الشهادات :

١– بكالوريوس هندسة طيران.

٢– ماجستير هندسة طيران.

٣– دكتوراه علوم سياسية.

٤– دكتوراه دراسات مندائية (أديان مقارنة).

- صدر له :

١. بناء هيكل الطائرات ومنظوماتها.

٢. بناء محرك الطائرات النفاذة ومنظوماتها.

٣. صيانة الطائرات النفاذة ومنظوماتها.

٤. رئيس اللجنة المشرفة على ترجمة الكتاب المقدس لطائفة الصابئة المندائيين (الكنز العظيم).

٥. حكايات صغيرة: شمس للنشر والإعلام، ٢٠١٦م.

٦. الصابئة المندائيون بين الإنصاف والإجحاف: شمس للنشر والإعلام، ٢٠١٧م.

٧. الموسوعة المندائية ١ : شمس للنشر والإعلام، ٢٠١٨م.

٨. الحب الحقيقي: رواية. شمس للنشر والإعلام، ٢٠١٨م.

٩. رضاب: رواية. شمس للنشر والإعلام، ٢٠١٨م.

١٠. الفريضة: رواية. شمس للنشر والإعلام، ٢٠١٩م.

١١. الموسوعة المندائية ٢: شمس للنشر والإعلام، ٢٠١٩م.

١٢. حكايات لها معنى: حكايات. شمس للنشر والإعلام، ٢٠٢٠م.

١٣. يا ناردين، هذه هي الحياة: رواية. شمس للنشر والإعلام، ٢٠٢٠م.

١٤. حكايات لها معنى: رواية. شمس للنشر والإعلام، ٢٠٢٠م.

١٥. الماء – الضياء – الحياة: شمس للنشر والإعلام، ٢٠٢١م.

البريد الإلكتروني : bashir_1208 @yahoo.com

# الفهرس


إهداء..... ٥

تقديم ..... ٧

مقدمة المؤلف ..... ٩

الحلقة الأولى: الماء الحيّ ..... ١١

الحلقة الثانية: نشوء الماء ..... ١٢

الحلقة الثالثة: الأرض ..... ١٥

الحلقة الرابعة: الحياة..... ١٧

الحلقة الخامسة: نشوء الحياة ..... ٢١

الحلقة السادسة: الانفجار الكوني العظيم ..... ٢٥

الحلقة السابعة: الانفجار الكوني العظيم ٢ ..... ٢٨

الحلقة الثامنة: الدين و العلم ..... ٣٠

الحلقة التاسعة: الماء حلقة وصل ..... ٣٢

الحلقة العاشرة: التعميد..... ٣٤

الحلقة الحادية عشرة: البويضة ..... ٣٦

الحلقة الثانية عشرة: الكرصة (الاعتكاف) ..... ٣٨

الحلقة الثالثة عشرة: العوز و النقصان ..... ٤٠

الحلقة الرابعة عشرة: الخلية الحيَّة..... ٤٤

الحلقة الخامسة عشرة: فيروس كورونا ..... ٤٥

الحلقة السادسة عشرة: أريدو و سومر ..... ٤٧

الحلقة السابعة عشرة: مُدن سكنها الصابئة المندائيون قديمًا ..... ٤٩

الحلقة الثامنة عشرة: مُدن سكنها الصابئة المندائيون في العصر الحديث . ٥٣
الحلقة التاسعة عشرة: سكن العمارة ..... ٥٥
الحلقة العشرون: قلعة صالح ..... ٥٧
الحلقة الحادية والعشرون: المشرح (الحلفاية) ..... ٦٠
الحلقة الثانية والعشرون: سوق الشيوخ ..... ٦٢
الحلقة الثالثة والعشرون: تكملة حلقة سوق الشيوخ ..... ٦٤
الحلقة الرابعة والعشرون: طيب ماثة ..... ٦٦
الحلقة الخامسة والعشرون: نشوء الأرض ..... ٦٨
الحلقة السادسة والعشرون: وجود حياة أخرى على كوكب غير الأرض ..... ٧١
الحلقة السابعة والعشرون: الدموثة (المثيل السني) ..... ٧٤
الحلقة الثامنة والعشرون: تجليات الخالق سبحانه ..... ٧٥
الحلقة التاسعة والعشرون: المندائية والغنوصية ..... ٧٩
الحلقة الثلاثون: العرب والصابئة المندائيون ..... ٨٣
الحلقة الحادية والثلاثون: غسل الجسد قبل الموت ..... ٨٨
الحلقة الثانية والثلاثون: لماذا غسل الجسد قبل الموت ؟..... ٨٩
الحلقة الثالثة والثلاثون: ولد أم بنت ..... ٩١
الحلقة الرابعة والثلاثون: فكرة مبسطة عن النسبية الخاصة ..... ٩٣
الحلقة الخامسة والثلاثون: تعميد السيد المسيح ..... ٩٦
الحلقة السادسة والثلاثون: مستوطنة يحيى بن زكريا ..... ١٠٠
الحلقة السابعة والثلاثون: إكليل الآس ..... ١٠٢
الحلقة الثامنة والثلاثون: الباحث الدكتور يوسف حبي ..... ١٠٤

الحلقة التاسعة والثلاثون: الرستة ..... ١٠٦
الحلقة الأربعون: الماء الجاري (اليردنا) ..... ١٠٨
الحلقة الحادية والأربعون: حوار بين شاب مندائي والماء الجاري ..... ١١١
الحلقة الثانية والأربعون: خلق آدم ..... ١١٤
الحلقة الثالثة والأربعون: بحر سوف العظيم ..... ١١٧
الحلقة الرابعة والأربعون: هبشبا (يوم الأحد) ..... ١١٩
الحلقة الخامسة والأربعون: الماء و الحياة ..... ١٢٢
الحلقة السادسة والأربعون: الماء والضياء وحياة النباتات ..... ١٢٥
الحلقة السابعة والأربعون: الأنهار المقدسة عند المندائيين ..... ١٢٨
الحلقة الثامنة والأربعون: الماء وأنهار العالم المهمة ..... ١٣٤
الحلقة التاسعة والأربعون: الضياء و مصادره ..... ١٣٩
الحلقة الخمسون: ماذا لو انطفأت الشمس؟ ..... ١٤٢
المؤلف في سطور ..... ١٤٥

شمس
للنشر والإعلام

**شمس للنشر والإعلام**

٢٧ ش الثلاثين - برج الشانزليزيه - زهراء المعادي - القاهرة

**ت فاكس: ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)**

www.shams-group.net